تم تصدير هذا الكتاب آليا بواسطة المكتبة الشاملة
(اضغط هنا للانتقال إلى صفحة المكتبة الشاملة على الإنترنت)

الكتاب : تفسير كنز الدقائق
المؤلف : الميرزا محمد المشهدي
المحقق :
الناشر :
الطبعة :
عدد الأجزاء : ٢
مصدر الكتاب :
[الكتاب]

[ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبرهيم حنيفا واتخذ الله إبرهيم خليلا (١٢٥)] وهو مؤمن: حال شرط اقتران العمل بها، في استدعاء الثواب المذكور، تنبيها على أنه لا اعتداد به دونه. فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا: بنقص شئ من الثواب. وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر " يدخلون الجنة " هنا وفي مريم (وغافر) (١) بضم الياء وفتح الخاء، والباقون بفتح الياء وضم الخاء. ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه الله: أخلص نفسه لله، لا يعرف لها ربا سواه. وقيل: بذل وجهه له في السجود. وفي الاستفهام تنبيه على أن ذلك ما يبلغه القوة البشرية. وهو محسن: آت بالحسنات تارك للسيئات. وفي مجمع البيان: وروي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سئل عن الاحسان ؟ فقال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ؟. واتبع ملة إبرهيم: الموافقة لدين الاسلام، المتفق على صحتها، يعني اقتد بدينه وسيرته وطريقته. حنيفا: مائلا عن سائر الاديان، وهو حال من المتبع، أو من الملة، أو إبراهيم. وفي تفسير علي بن إبراهيم، قال: هي العشرة التي جاء بها إبراهيم التي لم تنسخ إلى يوم القيامة (٣).

---

(١) في النسخة – أ: (وابن عامر) والظاهر أنه تصحيف والصحيح ما أثبتناه. (٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١١٦ في نقل المعنى لآية ١٢٥ من سورة النساء. (٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٣ س ٦ في تفسيره لآية ٢٥ من سورة النساء. (*)

واتخذ الله إبرهيم خليلا: اصطفاه وخصصه بكرامة الخلة. وإنما ذكره ولم يضمر، تفخيما له، وتنصيصا على أنه الممدوح. قيل: والخلة، إما من الخلال، فإنه ود يخلل النفس ويخالطها، أو من الخلل فإن كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر، أو من الخل وهو الطريق في الرمل، فإنهما يتوافقان الطريقة، أو من الخلة بمعنى الخصلة، فإنهما يتوافقان في الخصال. والجملة استئناف جئ بها للترغيب في اتباع ملته، والايذان بأنه نهاية في الحسن وغاية في كمال البشر (١). في روضة الكافي: أبان بن عثمان، عن محمد بن مروان، عمن رواه عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لما اتخذ الله (عز وجل) إبراهيم خليلا أتاه بشراه بالخلة، فجاءه ملك الموت في صورة شاب أبيض عليه ثوبان أبيضا يقطر رأسه ماء ودهنا، فدخل إبراهيم (عليه السلام) الدار فاستقبله خارجا من الدار، وكان إبراهيم (عليه السلام) رجلا غيورا، وكان إذا خرج في حاجة أغلق بابه وأخذ مفتاحه معه، ثم رجع ففتح فإذا هو برجل قائم أحسن ما يكون من الرجال، فأخذ بيده وقال: يا عبد الله من أدخلك داري ؟ فقال: ربها أدخلنيها، فقال: ربها أحق بها مني ؟ فمن أنت ؟ قال: أنا ملك الموت، ففزع إبراهيم (عليه السلام) وقال. جئتني لتسلبني روحي ؟ قال: لا، ولا كن اتخذ الله عبدا خليلا، فجئت لبشارته، قال: فمن هو لعلي أخدمه حتى أموت ؟ قال: أنت هو، فدخل على سارة، فقال لها: أن الله (تبارك وتعالى) اتخذني خليلا (٢). وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): في حديث طويل عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يقول فيه (عليه السلام): قولنا: إن إبراهيم خليل الله، فإنما هو مشتق من الخلة أو الخلة (٣)، والخلة إنما معناها الفقر والفاقة، فقد كان

---

(١) الوجوه المحتملة من البيضاوي: ج ١ ص ٢٤٦ لا حظ تفسيره لآية ١٢٥ من سورة النساء. (٢) الكافي: ج ٨ ص ٣٩٢ ح ٥٨٩. (٣) قوله: (من الخلة أو الخلة) الاولى بالفتح وهي بمعنى الفقر والحاجة، والثانية بالضم وهي بمعنى غاية الصداقة والمحبة، اشتق من الخلال، لان المحبة تخللت قلبه، فصارت خلاله، أي في باطنه، وقد ذكر (*)

خليلا إلى ربه فقيرا، وإليه منقطعا، وعن غيره متعففا معرضا مستغنيا، وذلك أنه لما اريد قذفه في النار، فرمي به في المنجنيق، فبعث الله إلى جبرئيل، فقال له: ادرك عبدي فجاءه فلقيه في الهواء،

فقال: كلفني ما بدالك، فقد بعثني الله لنصرتك، فقال: بل حسبي الله ونعم الوكيل، إني لا أسأل غيره، ولا حاجة لي إلا إليه، فسماه خليله، أي فقيره ومحتاجه والمنقطع إليه عمن سواه، قال: فإذا جعل معنى ذلك من الخلة، وهو أنه قد تخلل معانيه ووقف على أسرار لم يقف عليها غيره، كان معناه العالم به وباموره، ولا يوجب ذلك تسبيه الله بخلفه، ألا ترون أنه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله، وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله (١). وفي عيون الاخبار: في باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) من العلل إلى الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه (عليه السلام) أنه قال: إنما اتخذ الله إبراهيم خليلا لانه لم يرد أحدا ولم يسأل أحدا قط غير الله (٢). وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى ابن أبي عمير، عمن ذكره قال: قلت لابي عبد الله (عليه السلام): اتخذ الله (عز وجل) خليلا قال: لكثرة سجوده على الارض (٣).

(٢٢٧/٤)

اللغويون أنه يحتمل كون الخليل مشتقا من الخلة بالفتح أو الضم (البحار ط بيروت: ج ٩ ص ٢٦٧). (١) الاحتجاج: ص ٢٤ فصل في ذكر طرف مما جاء عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الجدال والمحاربة والمناظرة وما يجري مجرى ذلك مع من خالف الاسلام وغيرهم س ١٥ وصدره (فقال له: يا محمد أو لستم تقولون: إن إبراهيم خليل الله ؟ قال: قد قلنا ذلك، قال: فإذا قلتم ذلك فلم منعتمونا من أن نقول: إن عيسى ابن الله ؟ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إنهما لن يشتبها، لان قولنا أن إبراهيم خليل الله فإنما الخ). ورواه في البحار ط بيروت: ج ٩ ص ٢٦٠. (٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ٧٩ باب ٣٢ في ذكر ما جاء عن الرضا (عليه السلام) من العلل ح ٤. (٣) علل الشرائع: ج ١ ص ٣٣ باب ٣٢ العلة التي من أجلها اتخذ الله (عز وجل) إبراهيم خليلا ح ٢. (*)

(٢٢٨/٤)

وبإسناده إلى سهل بن زياد الآدمي، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال: سمعت علي بن محمد العسكري (عليه السلام) يقول: إنما اتخذ الله إبراهيم خليلا، لكثرة صلاته على محمد وأهل بيته

(صلوات الله عليهم) (١). وبإسناده إلى جابر بن عبد الله الانصاري قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: ما اتخذ الله إبراهيم خليلا إلا لاطعامه الطعام وصلاته بالليل والناس نيام (٢). وبإسناده إلى عبد الله بن الهلال إلى أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لما جاء المرسلون إلى إبراهيم (عليه السلام)، جاءهم بالعجل فقال: كلوا فقالوا: لا نأكل حتى تخبرنا ما ثمنه ؟ فقال: إذا أكلتم فقولوا: بسم الله، وإذا فرغتم فقولوا: الحمد لله، فقال: فالتفت جبرئيل إلى أصحابه وكانوا أربعة جبرئيل رئيسهم، فقال: حق لله أن يتخذ هذا خليلا (٣). وفي الكافي: علي بن محمد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد، عن بعض أصحابه، عن معاوية بن عمار، عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن إبراهيم كان أبا أضياف، فكان إذا لم يكونوا عندهم خرج يطلبهم وأغلق بابه وأخذ المفاتيح ويطلب الاضياف، وإنه رجع إلى داره فإذا هو برجل أو شبه رجل في الدار فقال: يا عبد الله بإذن من دخلت هذه الدار ؟ قال: دخلتها بإذن ربها، يردد ذلك ثلاث مرات، فعرف إبراهيم أنه جبرئيل (عليه السلام)، فحمد الله ثم قال: أرسلني ربي إلى عبد من عبيده يتخذه خليلا، قال إبراهيم (عليه السلام) فعلمني من هو أخدمه حتى أموت ؟ قال: فأنت، قال: ومم ذلك ؟ قال: لانك لم تسأل أحدا شيئا قط، ولم تسأل شيئا قط فقلت: لا (٤). وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن

(١ و ٢) علل الشرائع: ج ١ ص ٣٣ باب ٣٢ العلة التي من اجلها اتخذ الله (عز وجل) إبراهيم خليلا ح ٣ و ٤. (٣) علل الشرائع: ج ١ ص ٣٤ باب ٣٢ العلة التي من أجلها اتخذ الله (عز وجل) إبراهيم خليلا ح ٦ (٤) الكافي: ج ٤ ص ٤٠ كتاب الزكاة، باب معرفة الجود والسخاء ح ٦. (*)

صدقة، عن جعفر بن محمد (عليه السلام): أن إبراهيم أول من حول له الرمل دقيقا، وذلك أنه قصد صديقا له بمصر في قرض طعام، فلم يجده في منزله، فكره أن يرجع بالحمار خاليا فملا جرابه رملا، فلما دخل بمنزله خلى بين الحمار وبين سارة استحياء منها ودخل البيت ونام، ففتحت سارة عن دقيق أجود ما يكون فخبزت وقدمت إليه طعاما طيبا، فقال إبراهيم: من أين لك هذا ؟ فقالت: من الدقيق الذي حملته من عند خليلك المصري، فقال إبراهيم (عليه السلام): أما أنه خليلي وليس بمصري، فلذلك اعطي الخلة، فشكر الله وحمده فأكل (١). وفي اصول الكافي: محمد بن الحسن،

عمن ذكره، عن محمد بن خالد، عن محمد بن سنان، عن زيد الشحام قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن الله (تبارك وتعالى) اتخذ إبراهيم عبدا قبل أن يتخذه نبيا (٢) وإن الله اتخذه نبيا قبل

(٢٣٠/٤)

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٣ س ٧ في تفسيره لآية ١٢٥ من سورة النساء. (٢) قوله: (إن الله اتخذ إبراهيم عبدا) إلخ قبلية العبودية على النبوة والنبوة على الرسالة ظاهرة، فإن الرسالة أرفع درجة من النبوة أرفع درجة من العبودية، فإن أكثر الناس لهم درجة العبودية، وليست لهم درجة النبوة. وأما قبلية الرسالة على الخلة والخلة على الامامة فالوجه فيها أن الخلة هي فراغ القلب عن جميع ما سواه والخليل من لا يتسع القلب لغيره، وقد كان إبراهيم بهذه الصفة، كما يرشد إليه قوله: – حين قال له جبرئيل: ألك حاجة وقد رمي بالمنجنيق – أما إليك فلا، فنفى (عليه السلام) في تلك الحالة العظيمة أن يكون له حاجة إلى غير الله تعالى، ولا شبهة في أن هذه الدرجة فوق درجة الرسالة، إذ كل رسول لا يلزم أن تكون له هذه الدرجة. وأما الامامة فهي أفضل من الخلة، لانها فضيلة شريفة ودرجة رفيعة، وأجل قدرا وأعظم شأنا وأعلى مكانا وأمنع جانبا وأبعد غورا من أن يبلغها البشر بعقولهم، وقد شرف الله تعالى إبراهيم (عليه السلام) بها فقال: " أني جاعلك للناس إماما " بعد ما أعطاه الدرجات السابقة، فمن جهة عظم الامامة في عينه (عليه السلام) قال سرورا بها " ومن ذريتي " فقال الله تعالى إيماء إلى إجابة دعائه، وتصريحا بأن الظالم في الجملة لا ينالها: " لا ينال عهدي الظالمين " فأبطلت هذه الآية إمامة كل سفيه وتقدم كل ظالم على البر التقي إلى يوم القيامة، وقررتها في الصفوة، ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذرية أهل الصفوة والطهارة فقال: " ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين " فلم تزل الامامة والخلافة في ذريته الطاهرة يرثها بعض عن بعض قرنا بعد قرن حتى ورثها الله تعالى نبينا (صلى الله عليه وآله (*)

(٢٣١/٤)

أن يتخذه رسولا، وإن الله اتخذه رسولا قبل أن يتخذه خليلا، وإن الله اتخذه خليلا قبل أن يتخذه إماما، (١) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حديث طويل في مكالمة له بينه وبين اليهودي، وفيه قالوا: إبراهيم خير منك، قال: ولم ذلك ؟ قالوا: لان الله اتخذه خليلا، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إن كان إبراهيم (عليه السلام) خليلا، فأنا حبيبه محمد (٢). وفي مجمع البيان: وقد روي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: قد اتخذ الله صاحبكم خليلا، يعني نفسه (٣). وفي بعض الروايات: أن الملائكة قال بعضهم لبعض: اتخذ ربنا من نطفة خليلا، وقد أعطاه ملكا عظيما جزيلا، فأوحى الله إلى الملائكة: اعمدوا على أزهدكم ورئيسكم، فوقع الاتفاق على جبرئيل وميكائيل، فنزلا إلى إبراهيم في يوم جمع غنمه، وكان لابراهيم أربعة آلاف راع وأربعة آلاف كلب في عنق كل كلب طوق وزن من من ذهب أحمر، وأربعون ألف غنمة حلابة، وما شاء الله من الخيل والجمال، فوقف الملكان في طرفي الجمع، فقال أحد هما بلذاذة صوت: سبوح

(٢٣٢/٤)

وسلم) فقال: " أن اولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذاالنبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين " فكانت لهم خاصة فقلدها (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا (عليه السلام) بأمر الله تعالى فصارت في ذريته الاصفياء الاتقياء البررة الكرماء الذين هم اولوا الامر كما قال الله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم " ثم طائفة من الصوص المتغلبة الذين نشأت عقولهم وعظامهم ولحومهم في غبادة الاوثان، وغصبوها من أهل الصفوة فضلوا وأضلوا كثيرا (شرح اصول الكافي للمولى المازندراني: ج ١٣٧ ٥). (١) الكافي: ج ١٧٥ كتاب الحجة، باب طبقات الانبياء والرسل والائمة (عليهم السلام)، ح ٢ وتمام الحديث (فلما جمع له الاشياء قال (أني جاعلك للناس إماما) قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: " ومن ذريتي، قال لا ينال عهدي الظالمين " قال: لا يكون السفيه إمام التقي). (٢) الاحتجاج: ج ١ ص ٤٩ احتجاجه (صلى الله عليه وآله وسلم) على اليهود في جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك س ٦. (٣) مجمع البيان: ج ٣ ص ١١٧ س ٤ في تفسيره لآية ١٢٥ من سورة النساء. (*)

(٢٣٣/٤)

[ولله ما في السموت وما في الارض وكان الله بكل شئ محيطا (١٢٦) ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتب في يتمى النساء الاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدن وأن تقوموا لليتمى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما (١٢٧)] قدوس، فجاوبه الثاني: رب الملائكة والروح، فقال: أعيداهما ولكما نصف مالي، ثم قال: أعبداهما ولكما مالي وولدي وجسدي، فنادت ملائكة السماوات هذا هو الكرم، هذا هو المكرم، فسمعوا مناديا من العرش يقول: الخليل موافق الخيله (١). ولله ما في السموت وما في الارض: خلقا وملكا يختارمنها ما يشاء ومن يشاء. وقيل: هو متصل بذكر الاعمال مقرر لوجوب طاعته على أهل السماوات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال (٢). وكان الله بكل شئ محيطا: علما وقدرة، فكان عالما بأعمالهم الخير والشر قادرا على جزائهم فيجازيهم عليهما ما وعد وأوعد. ويستفتونك: ويسألونك الفتوى، أي تبيين الحكم. في النساء: في ميراثهن. قيل: إن سبب نزوله أن عيينة بن الحصين أتى النبي (صلى الله عليه وآله

---

(١) لم نعثر عليه في كتب الاحاديث من الخاصة والعامة، ورواه في تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي ط بيروت: ج ٢ ص ٢٩٣ في تفسيره للآية الشريفة. (٢) نقله البيضاوي: ج ١ ص ٢٤٦ في تفسيره لآية ١٢٦ من سورة النساء. (*)

وسلم) فقال: اخبرنا أنك تعطي الابنة النصف، والاخت النصف، إنما تورث من يشهد القتال ويجوز الغنيمة ؟ ! فقال (عليه السلام): كذلك امرت (١). في تفسير علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله " يستفتونك في النساء " فإن النبي (صلى الله عليه وآله) سئل عن النساء وما لهن من الميراث، فأنزل الله الربع والثمن (٢). قل الله يفتيكم فيهن: يبين لكم حكمه فيهن، والافتاء تبيين المبهم. وما يتلى عليكم في الكتب: عطف على اسم " الله " أو ضميره المستكن في " يفتيكم " وجاز للفصل، فيكون الافتاء مسندا إلى الله، وإلى ما في القرآن من نحو قوله: " يوصيكم الله " (٣) والفعل الواحد ينسب إلى فاعلين باعتبارين مختلفين، ونظيره: أغناني زيد وعطاءه. أو استئناف معرض لتعظيم المتلو عليهم، على أن " ما يتلى عليكم " مبتدأ، و " في

الكتاب " خبره. والمراد به اللوح المحفوظ. ويجوز أن ينتصب على معنى، ويبين لكم ما يتلى عليكم في الكتاب. أو يخفض على القسم، كأنه قيل: وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب. ولا يجوز عطفه على المجرور في " فيهن " لاختلاله لفظا ومعنى. في يتمى النساء: صلة " يتلى " إن عطف الموصول على ما قبله، أي يتلى عليكم في شأنهن، وإلا فبدل من " فيهن " أو صلة اخرى بـ " يفتيكم " على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول: كلمتك اليوم في زيد. وهذه الاضافة بمعنى (من) لانها إضافة الشئ إلى جنسه. وقرئ " ييامى " على أنه أيامى فقلبت همزته ياء. التى لا تؤتو نهن: لا تعطونهن. ما كتب لهن: ما فرض لهن من الميراث.

---

(١) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٣٤٧ في تفسيره لآية ١٢٧ من سورة النساء. (٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٣ س ٢٢ في تفسيره لآية ١٢٧ من سورة النساء. (٣) النساء: ١١. (*)

في مجمع البيان: عن الباقر (عليه السلام): كان أهل الجاهلية لا يورثون الصغير ولا المرأة ويقولون: لا نورث إلا من قاتل ودفع عن الحريم، فأنزل الله تعالى آيات الفرائض التي في أول السورة، وهو معنى قوله: " لا تؤتونهن ما كتب لهن " (١) وفي تفسير علي بن إبراهيم زيادة، وهي قوله: وكانوا يرون ذلك حسنا في دينهم، فلما أنزل الله فرائض المواريث وجدوا من ذلك شديدا، فقالوا انطلقوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنذكر ذلك لعله يدعه أو يغيره، فأتوه فقالوا: يا رسول الله للجارية نصف ما ترك أبوها وأخوها، ويعطي الصبي الصغير الميراث، وليس واحد منهما يركب الفرس ولا يجوز الغنيمة ولا يقاتل العدو، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): بذلك امرت (٢). وترغبون أن تنكحوهن: قيل: في أن تنكحوهن، أو عن تنكحوهن، فإن أولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن إن كن جميلات ويأكلون ما لهن، وإلا كانوا يعضلوهن طمعا في ميراثهن (٣). وفي تفسير علي بن إبراهيم: إن الرجل كان في حجره اليتيمة فتكون دميمة وساقطة، يعني حمقاء، فيرغب الرجل أن يتزوجها ولا يعطيها مالها، فينكحها غيره من أجل مالها، ويمنعها النكاح ويتربص بها الموت ليرثها، فنهى الله عن ذلك (٤). والواو يحتمل الحال على تقدير مبتدأ، والعطف. والمستضعفين: عطف على يتامى النساء. من الولدن: في موضع الحال من المستضعفين، أو ضميره، ويحتمل الصفة. والعرب ما كانوا يورثونهم كما ذكر. وأن تقوموا لليتمى بالقسط: عطف على يتامى النساء، أو المستضعفين، أي ويفتيكم، أو ما يتلى عليكم في أن تقوموا. هذا إذا جعلت في

يتامى صلة

(٢٣٦/٤)

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١١٨ في نقل المعنى لاية ١٢٧ من سورة النساء. (٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٤ س ٦ في تفسيره لآية ١٢٧ من سورة النساء. (٣) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢٤٧ في تفسيره لآية ١٢٧ من سورة النساء. (٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٤ س ٣ في تفسيره لآية ١٢٧ من سورة النساء. (*)
---

[٦٤١]

وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الانفس الشح وأن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا (١٢٨) ولن تستطيعوا أن تعد لوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما (١٢٩)] لاحد هما، وإن جعلته بدلا فالوجه نصبهما، عطفا على موضع " فيهن ".

وقيل: ويجوز أن ينتصب " وأن تقوموا " بإظهار فعل، أي ويأمركم أن تقوموا. وما تفعلوا من خير: في أمر النساء واليتامى وغير ذلك. فإن الله كان به عليما: وعد لمن آثر الخير في ذلك. وإن امرأة خافت من بعلها: توقعت منه لما ظهر لها من المخايل. و " امرأة " فاعل فعل يفسر الظاهر. نشوزا: تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها وكراهة لها، ومنعا لحقوقها. أو إعراضا: بأن يقل مجالستها ومحادثتها. فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا: أن يتصالحا، بأن تحط له بعض المهر، أو القسم أو تهب له شيئا تستميله به. في تفسير علي بن إبراهيم: نزلت في ابنة محمد بن مسلمة كانت امرأة رافع بن خديج، وكانت امرأة قد دخلت في السن، فتزوج امرأة شابة كانت أعجب إليه من ابنة محمد بن مسلمة، فقالت: له بنت محمد بن مسلمة: ألا أراك معرضا عني مؤثرا علي ؟ فقال رافع: هي امرأة شابة، وهي أعجب إلي منك، فإن شئت أقررت لها
---

[٦٤٢]

(٢٣٧/٤)

على أن لها يومين، أو ثلاثة مني، ولك يوم واحد فأبت ابنة محمد بن مسلمة ان ترضاها، فطلقها تطليقة واحدة، ثم طلقها اخرى، فقالت: لا والله لا أرضى أو تسوي بيني وبينها، يقول الله " واحضرت الانفس الشح " وابنة محمد لم تطلب نفسها بنصيبها وشحت عليه، فعرض عليها رافع، إما أن ترضى وإما أن يطلقها الثالثة، فشحت على زوجها ورضيت فصالحته على ما ذكر، فقال الله (عز وجل) " فلا جناح أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير " فلما رضيت واستقرت لم يستطع أن يعدل بينهما، فنزلت " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة " أن تأتي الواحدة وتذر الاخرى، لا أيم ولا ذات بعل (١). وفي تفسير العياشي: عن أحمد بن محمد، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) في قول الله: " وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا " قال: النشوز الرجل يهم بطلاق امرأته، فتقول له: أدع ما على ظهرك وأعطيك كذا وكذا وأحللك من يومي وليلي على ما اصطلحا عليه، فهو جائز (٢). وفي الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن علي ابن أبي حمزة قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن قول الله (عز وجل): " وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا " فقال: إذا كان كذلك فهم بطلاقها، فقالت له: امسكني وأدع لك بعض ما عليك وأحللك من يومي وليلتي، حل له ذلك ولا جناح عليهما (٣). علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله (تبارك وتعالى): " وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا " فقال: هي المرأة تكون عند الرجل فيكرهها، فيقول لها: إني اريد أن اطلقك، فتقول له: لا تفعل إني أكره أن تسمت بي،

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٤ س ١٤ في تفسيره لاية ١٢٨ من سورة النساء. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٨ ح ٢٨١. (٣) الكافي: ج ٦ ص ١٤٥ كتاب الطلاق، باب النشوز ح ١. (*)

ولكن انظر في ليلتي فاصنع بها ما شئت، وما كان سوى ذلك من شئ فهو لك ودعني على حالتي وهو قوله (تبارك وتعالى): " فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا " وهو هذا الصلح (١). حميد بن زياد، عن ابن سماعة، وعن الحسين بن هاشم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن قوله الله (جل اسمه): " وإنامرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا " قال:

هذا يكون عنده المرأة لا تعجبه، فيريد طلاقها، فتقول: له: امسكني ولا تطلقني، وأدع لك ما على ظهرك وأعطيك من مالي وأحللك من يومي وليلتي، فقد طاب ذلك كله (٢). والصلح خير: من الفرقة وسوء العشرة، أو من الخصومة. ويجوز أن يكون المراد أنه من الخيور، كما أن الخصومة من الشرور، وهو اعتراض، وكذا قوله. وأحضرت الانفس الشح: ولذلك اغتفر عدم تجانسهما. والاول للترغيب في المصالحة، والثاني لتمهيد العذر في المماكسة. ومعنى إحضار الانفس الشح، جعلها حاضرة له مطوعة عليه، فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها، ولا الرجل يسمح بأن يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي إذا كرهها أو أحب غيرها. وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال: " واحضرت الانفس الشح " فمنها من اختارته ومنها من لم يختره (٣). وإن تحسنوا: في العشرة. وتتقوا: النشوز والاعراض ونقص الحق. فإن الله كان بما تعملون: من الاحسان والخصومة. خبيرا: عالما به وبالغرض منه، فيجازيكم عليه. أقام كونه عالما بأعمالهم،

---

(١) الكافي: ج ٦ ص ١٤٥ كتاب الطلاق، باب النشوز ح ٢. (٢) الكافي: ج ٦ ص ١٤٥ كتاب الطلاق، باب النشوز ح ٣. (٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٥ س ٩ في تفسيره لآية ١٢٨ من سورة النساء. (*)

مقام مجازاته لهم الذي هو في الحقيقة جواب الشرط، إقامة السبب مقام المسبب. ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء: أن تسووا بينهن في المحبة والموادة بالقلب، لان العدل أن لا يقع ميل البتة، وهو متعذر، ولذلك كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقسم بين نسائه فيعدل، ويقول: هذه قسمتي فيما أملك، فلان تأخذني فيما تملك ولا أملك، على ما نقل (١). وفي تفسير العياش: عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: يعني في المودة (٢). وكذا في تفسير علي بن إبراهيم، عنه (عليه السلام) (٣). وفي مجمع البيان: عن الصادق والباقر (عليهما السلام): إن معناه التسوية في كل الامور من جميع الوجوه، من النفقة والكسوة والعطية والمسكن والصحبة والبشر وغير ذلك (٤). والمراد به أن ذلك لا يخفف عليكم، بل يثقل ويشق، لميلكم إلى بعضهن. ولو حرصتم: على تحري ذلك وبالغتم. فلا تميلوا كل الميل: بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها، فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله (٥). فتذورها كالمعلقة: التي ليست ذات بعل ولا مطلقة. في مجمع البيان: عن الصادق، عن آبائه (عليهم السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان

يقسم بين نسائه في مرضه، فيطاف به بينهن (٦).

---

(١) نقله في مجمع البيان: ج ٣ ص ١٢٠ في تفسيره لاية ١٢٩ من سورة النساء نقلا عن أبي قلابة، ورواه البيضاوي: ج ١ ص ٢٤٨ في تفسيره للآية الشريفة أيضا. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٩ ح ٢٨٥. (٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٥ س ١٧ في تفسيره لآية ١٢٩ من سورة النساء. (٤) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٢١ في تفسيره لآية ١٢٩ من سورة النساء. (٥) عوالي اللآلئ: ج ٤ ص ٥٨ ح ٢٠٧. (٦) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٢١ في تفسيره لآية ١٢٩ من سورة النساء. (*)

[وإن يتفرقا يغن الله كلامن سعته وكان الله وسعا حكيما (١٣٠) والله ما في السموت وما في الارض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السموت وما في الارض وكان الله غنيا حميدا (١٣١)] قال: وروي أن عليا (عليه السلام كان له امرأتان، فكان إذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الاخرى (١). وإن تصلحوا: ما كنتم تفسدون من امورهن. وتتقوا: فيما يستقبل. فإن الله كان غفورا رحيما: يغفر لكم ما مضى من ميلكم. وإن يتفرقا: وقرئ " وان يتفارقا " أي وإن يفارق كل واحد منهما صاحبه. يغن الله كلا: من الآخر ببدل أو متعلق. من سعته: من غناه وقدرته. وكان الله وسعا حكيما: مقتدرا متقنا في أفعاله وأحكامه. وفي الكافي: بإسناده إلى ابن أبي ليلى قال: حدثني عاصم بن حميد قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فأتاه رجل فشكا إليه الحاجة، فأمره بالتزويج قال: فاشتدت به الحاجة فأتى أبا عبد الله (عليه السلام) فسأله عن حاله ؟ فقال: اشتدت بي الحاجة قال: ففارق، ثم أتاه فسأله عن حاله ؟ فقال: أثريت وحسن حالي، فقد قال أبو عبد الله (عليه السلام): إني أمرتك بأمرين أمر الله بهما، قال الله (عز وجل):

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٢١ في تفسيره لآية ١٢٩ من سورة النساء. (*)

" وانكحوا الايامى " إلى قوله: " والله واسع عليم " (١) وقال " إن يتفرقا يغن الله كلا من سعته " (٢). ولله ما في السموت وما في الارض: تنبيه على كمال قدرته وسعته، وأنه لا يتعذر عليه الاغناء بعد الفرقة والاياس بعد الوحشة. ولقد وصينا الذين أوتوا الكتب من قبلكم: من اليهود والنصارى ومن قبلهم. والكتاب للجنس، و " من " متعلقة بـ " وصينا " أو بـ " اوتوا ". وإياكم: عطف على " الذين اوتوا ". أن اتقوا الله: بأن اتقوا الله. ويجوز أن يكون " ان " مفسرة، لان التوصية في معنى القول. في مصباح الشريعة: قال الصادق (عليه السلام): وقد جمع الله ما يتواصى به المتواصون من الاولين والآخرين في خصلة واحدة، وهي التقوى. وفيه جماع كل عبادة صالحة، وبه وصل من وصل إلى الدرجات العلى (٣). وإن تكفروا فإن الله ما في السموت وما في الارض: على إرادة القول، أي وقلنا لهم: ولكم أن تكفروا فإن الله مالك الملك كله، لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم، وإنما وصاكم لرحمته، لا لحاجة، ثم قرر ذلك بقوله: وكان الله غنيا: عن الخلق وعبادتهم. حميدا: في ذاته، حمد أو لم يحمد. * * *

---

(١) النور: ٣٢. (٢) الكافي: ج ٥ كتاب النكاح ص ٣٣١ ح ٦. (٣) مصباح الشريعة: ص ٥٠ الباب الثالث والسبعون، قطعة من الوصية. (*)

[ولله ما في السموت وما في الارض وكفى بالله وكيلا (١٣٢) إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بئاخرين وكان الله على ذلك قديرا (١٣٣) من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا بصيرا (١٣٤)] ولله ما في السموت وما في الارض: كل مخلوق يدل بحاجته على غناه، وبما فاض عليه من الوجود والكمال على كونه حميدا. وكفى بالله وكيلا: قيل: أي حافظا للجميع، لا يعزب عنه مثقال ذرة فيهما. وقيل: راجع إلى قوله: " يغن الله كلا من سعته " فإنه يوكل بكفايتهما، وما بينهما تقرير لذلك. إن يشأ يذهبكم أيها الناس: يفنيكم، ومفعول " يشاء " محذوف دل عليه الجواب. ويأت باخرين: ويوجد قوما آخرين مكانكم، أو خلقا آخرين مكان الانس. وكان الله على ذلك: من الاعدام والايجاد. قديرا: بليغ القدرة لا يعجزه مراده. وقيل: أيضا تقرير لغناه وقدرته،

وتهديد لمن كفر وخالف أمره (١). والظاهر أنه خطاب لمن عادى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من العرب، ومعناه معنى قوله: " وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم " (٢) لما قال في مجمع البيان: وروي أنه لما نزلت هذه الآية ضرب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

---

(١) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢٤٩ في تفسيره لاية ١٣٣ من سورة النساء. (٢) محمد: ٣٨. (*)

يده على ظهر سلمان (رضي الله عنه)، وقال: هم قوم هذا يعني عجم الفرس (١). من كان يريد ثواب الدنيا: كمن يجاهد للغنيمة. فعند الله ثواب الدنيا والاخرة: فليطلب الثوابين جميعا من عند الله، وما له يكتفي بأخسهما ويدع أشرفهما، على أنه لو طلب الاشرف لم يخطئه الاخس. في كتاب الخصال: جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) قال: كانت الحكماء والفقهاء إذا كاتب بعضهم بعضا، كتبوا بثلاث ليس معهن رابعة: من كانت الآخرة همه كفاه الله همه من الدنيا. ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله فيما بينه وبين الناس (٢). وفي نوادر من لا يحضره الفقيه: وروي عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: الدنيا طالبة ومطلوبة، فمن طلب الدنيا طلبه الموت حى يخرجه منها، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه (٣). وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى محمد بن يعقوب، عن علي بن محمد بإسناده رفعه قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لبعض اليهود وقد سأله عن مسائل: وإنما سميت الدنيا دنيا، لانها أدنى من كل شئ، وسميت الآخرة آخرة، لان فيها الجزاء والثواب (٤). وبإسناده إلى عبد الله بن يزيد بن سلام، أنه سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له: أخبرني عن الدنيا لم سميت الدنيا ؟ قال: لان الدنيا دنية، خلقت من دون الآخرة، وخلقت مع الآخرة لم يغن أهلها كما لا يغنى من أهل

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٢٢ في تفسيره لآية ١٣٣ من سورة النساء ورواه البيضاوي أيضا: ج ١ ص ٢٤٩ في تفسيره للآية. (٢) الخصال: ص ١٢٩، باب الثلاثة ح ١٣٣. (٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٢٩٣ باب ١٧٦ النوادر وهو آخر أبواب الكتاب ح ٣٦. (٤) علل الشرائع: ج ١ ص ٣ باب ١ العلة التي من أجلها سميت السماء سماء والدنيا دنيا والآخرة آخرة، قطعة من ح ١ ص ٥. (*)

---

[٦٤٩]

(٢٤٤/٤)

[* يأيها الذين ءامنوا كونوا قومين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الولدين والاقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهدى أن تعدلوا وأن تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا (١٣٥)] الآخرة، قال: فأخبرني لم سميت الآخرة آخره ؟ قال: لانها متأخرة تجئ من بعد الدنيا، لا توصف نسبتها ولا يحصى أيامها ولا يموت سكانها، قال: صدقت يا محمد (١)، والحديثان طويلا أخذت منهما موضع الحاجة. وكان الله سميعا بصيرا: عارفا بالاغراض، فيجازي كلا بحسب قصده. يأيها الذين ءامنوا كونوا قوامين بالقسط: مواظبين على العدل مجتهدين في إقامته. شهداء لله: بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله. وهو خبر ثان، أو حال. ولو على أنفسكم: ولو كانت الشهادة على أنفسكم، بأن تقروا عليها، لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه أو على غيره. أو الولدين والاقربين: أي ولو على الديكم وأقربيكم. في تفسير علي بن إبراهيم: قال أبو عبد الله (عليه السام): إن للمؤمن على المؤمن سبع حقوق، فأوجبها أن يقول الرجل حقا وإن كان على نفسه أو على نفسه أو على والديه، فلا يميل لهم عن الحق (٢). وفي كتاب الخصال: عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله تعالى يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب، رجل لم تدعه قدرته في حال

---

(١) علل الشرائع: ج ٢ ص ٤٧٠ باب ٢٢٢ النوادر ح ٣٣. (٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٦ س ٣ في تفسيره لآية ١٣٥ من سورة النساء. (*)

---

[٦٥٠]

(٢٤٥/٤)

غضبه إلى أن يحيف على من تحت يديه، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحد هما على الآخر بشعرة، ورجل قال الحق فيما له وعليه (١). عن محمد بن قيس، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إن الله تعالى جنة لا يدخلها إلا ثلاثة، رجل حكم في نفسه بالحق الحديث (٢). إن يكن: أي

المشهود عليه، أو كل واحد من المشهود عليه ومن المشهود له. غنيا أو فقيرا: فلا تمتنعوا عن إقامة الشهادة. أو لا تجوروا فيها ميلا، أو ترحما. فالله أولى بهما: بالغنى والفقير وبالنظر لهما، فلو لم تكن الشهادة عليهما أو لهما صلاحا، لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه، والضمير في " بهما " راجع إلى مادل عليه المذكور، وهو جنسا الغني والفقير، لا إليه، وإلا لوحد، للترديد فيه بـ " أو " ويشهد عليه إن قرئ " فالله أولى بهم " (٣) (٤) فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا: لان تعدلوا عن الحق، من العدول، أو كراهة أن تعدلوا، من العدل. وإن تلوا: ألسنتكم عن شهادة الحق. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي بإسكان اللام وبعدها واوان، الاولى مضمومة والثانية ساكنة. وقرئ " وان تلو " بمعنى إن وليتم إقامة الشهادة (٥).

---

(١) الخصال: ص ٨١، باب الثلاثة ح ٥. (٢) الخصال: ص ١٣١، باب الثلاثة ١٣٦ وتمام الحديث (ورجل زار أخاه في الله، ورجل آثر أخاه المؤمن في الله عز وجل). (٣) من قوله: (أن يكن أي المشهود عليه) إلى قوله: (أو تعرضوا عن أدائها) مقتبس من تفسير البيضاوي: ج ١ ص ٢٤٩، لا حظ تفسيره، لآية ١٣٥ من سورة النساء. (٤) قوله: (لا إليه وإلا لوحد) أي لو كان الضمير راجعا إلى المذكور، وهو أحد الجنسين، لوجب توحد الضمير. لان المرجع واحد وهو أحد الجنسين (من حاشية الكازروني لتفسير البيضاوي). (٥) (وان تلووا) قرأ تلووا بواوين، واصله، تلويوا على وزن تفعلوا، من لويت، فنقلت الضمة من الياء إلى ما قبلها، فبقيت الياء ساكنة وواو الجمع ساكنة فحذفت الياء لا لتقاء الساكنين، فبقي تلووا على (*)

أو تعرضوا: عن أدائها. وفي مجمع البيان: عن أبي جعفر (عليه السلام) " إن تلووا " أي تبدلوا الشهادة " أو تعرضوا " أي تكتموها (١). وفي اصول الكافي: الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن علي بن إسباط، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى: " وإن تلووا أو تعرضوا " فقال: إن تلووا الامر أو تعرضوا عما امرتم به " فإن الله كان بما تعملون خبيرا ". والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة (٢). فإن الله كان بما تعملون خبيرا: فيجازيكم عليه. وفي اصول الكافي: الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن علي بن أسباط، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في هذه الآية أنه قال: وإن

تلووا (٣) الامر أو تعرضوا عما امرتم به في ولاية علي، فإن الله كان بما

(٢٤٧/٤)

وزن تفعوا. وقرأ تلوا بواو واحدة، ويحتمل وجهين أحدهما: أن يكون من لويت، واصله تلويوا على ما بيناه في القراءة الاولى، إلا أنه لمانقلت الضمة من الياء إلى الواو، حذفت الياء لالتقاء الساكنين ونقلت الضمة على الواو، فقلبت همزة وحذفت، ونقلت حركتها إلى اللام، فبقيت تلوا: والثاني أن يكون تلوا اصله توليوا من وليت، الا أنه حذفت الواو الاولى التي هي الفاء لوقوعها بين تاء وكسرة، حملا للتاء على الياء كما تحذف من نعد حملا لبعض حروف المضارعة على بعض طلبا للتشاكل، وفرارا من نفرة الاختلاف ليجري الباب على سنن واحد ولا تختلف طرق تصاريف الكلمة، فلما حذفت الواو الاولى بقي تليو فاستثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى اللام قبلها، وحذف الياء لسكونها وسكون واو الجمع بعدها، وكانت أولى بالحذف، لان واو الجمع دخلت لمعنى والياء لم تدخل لمعنى، فكان حذفها أولى. وصار (تلوا) على وزن (تعوا) لذهاب الفاء واللام (البيان لابن الانباري: ص ٢٦٩). (١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٢٤ في نقل المعنى لآية ١٣٥ من سورة النساء. (٢) الكافي: ج ١ ص ٤٢١ كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، قطعة من ح ٤٥. (٣) قوله (ان تلوا الامر) لواه أي أماله وصرفه من جانب إلى جانب وقد يجعل كناية عن التأخر والتخلف، يعني إن تصرفوا أمر الخلافة عن موضعها وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أو تعرضوا عما امرتم به من ولايته وتخلفتم عنه، فإن الله كان بما تعلمون خبيرا، فيعاقبكم بذلك (شرح العلامة المازندراني: ج ٧ ص ٧٥). (*)

(٢٤٨/٤)

[يأيها الذين ءامنوا بالله ورسوله والكتب الذى نزل على رسوله والكتب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا (١٣٦) إن الذين ءامنوا ثم كفروا ثم ءامنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا (١٣٧)] تعملون خبيرا (١). يا أيها الذين ءامنوا: بألسنتهم وظاهرهم. ءامنوا: بقلوبكم وباطنكم. وقيل: خطاب لمؤمني أهل

الكتاب، إذ روي أن ابن سلام وأصحابه قالوا: يا رسول الله إنا نؤمن بك وبموسى والتوراة وعزير، ونكفر بما سواه، فنزلت (٢). فعلى هذا معنى " آمنوا " آمنوا إيمانا عاما يعم الكتب والرسل. وقيل: خطاب للمسلمين، أي اثبتوا على الايمان بذلك، ودوموا على الايمان (٣). بالله ورسوله والكتب الذى نزل على رسوله والكتب الذى أنزل من قبل: الكتاب الاول القرآن، والثاني الجنس. وقرأ نافع والكسائي " الذي نزل " و " الذي أنزل " بفتح النون والهمزة والزاي، والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي. ومن يكفر بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر: أي من يكفر

---

(١) غير خفي أن هذا الحديث هو الذي أورده قبل اسطر ولعل نظره رحمه الله إلى ما أوله شراح الاحاديث كما قدمنا نموذجا منه عن المولى صالح المازندراني. (٢ و ٣) قالهما البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٠ في تفسيره لآية ١٣٦ من سورة النساء. (*)

(٢٤٩/٤)

بشئ من ذلك. فقد ضل ضلالا بعيدا: عن المقصد بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه. إن الذين ءامنوا: كاليهود آمنوا بموسى. ثم كفروا: حين عبدوا العجل. ثم ءامنوا: حين يرجع إليهم. ثم كفروا: بعيسى. ثم ازدادوا كفرا: بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم). وفي تفسير علي بن إبراهيم: نزلت في الذين آمنوا برسول الله إقرارا، لا تصديقا، ثم كفروا لما كتبوا الكتاب فيما بينهم أن لا يردوا الامر في أهل بيته أبدا، فلما نزلت الولاية وأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الميثاق عليهم لأمير المؤمنين، آمنوا إقرارا، لا تصديقا، فلما مضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كفروا وازدادوا كفرا (١). وفي اصول الكافي: الحسين بن محمد بن، عن معلى بن محمد، عن محمد بن أو رمة، وعلي بن عبد الله، عن علي بن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في هذه الآية، قال: نزلت في فلان وفلان وفلان، آمنوا بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أول الامر، وكفروا حين عرضت عليهم الولاية، حين قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): من كنت مولاه فعلي مولاه، ثم آمنوا بالولاية لأمير المؤمنين (عليه السلام) ثم كفروا حيث مضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يقروا بالبيعة، ثم ازدادوا كفرا بأخذهم من تابعه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الايمان شئ (٢). وفي تفسير العياشي: عن جابر قال: قلت لمحمد بن علي (عليهما السلام): في قول الله في كتاب " الذين آمنوا ثم كفروا "، قال: هما، والثالث والرابع وعبد الرحمن

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٦ في تفسيره لآية ١٣٧ من سورة النساء. (٢) الكافي: ج ١ ص ٤٢٠ كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح ٤٢. (*)

(٢٥٠/٤)

وطلحة، وكانوا سبعة عشر رجلا، قال: لما وجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر (رحمه الله) إلى أهل مكة، قالوا: بعث هذا الصبي ولو بعث غيره يا حذيفة إلى أهل مكة، وفي مكة صناديدها - وكانوا في مكة يسمون عليا، الصبي لانه كان اسمه في كتاب الله الصبي لقول الله (عز وجل): " ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا " وهو صبي، " وقال إنني من المسلمين " - (١) والله الكفر بنا أولى مما نحن فيه، فساروا فقالوا لهما وحرفوهما بأهل مكة، فعرضوا لهما وخوفو هما وغلظوا عليهما الامر، فقال علي (صلوات الله عليه): " حسبنا الله ونعم الوكيل " (٢) ومضى، فلما دخلا مكة، أخبر الله نبيه بقولهم لعلي، ويقول على لهم، فأنزل الله بأسمائهم في كتابه، وذلك قول الله: " ألم تر إلى الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل " إلى قوله " والله ذو فضل عظيم " (٣) وإنما نزلت: ألم تر إلى فلان وفلان لقوا عليا وعمارا فقالا: إن أبا سفيان وعبد الله بن عامر وأهل مكة قد جمعوا لكم فاخشوهم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وهما اللذان قال الله: " إن الذين آمنوا ثم كفروا "، إلى آخر الآية، فهذا أول كفرهم، والكفر الثاني قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يطلع عليكم من هذا الشعب رجل، فيطلع عليكم بوجهه، فمثله عند الله كمثل عيسى، لم يبق منهم أحد إلا تمنى أن يكون بعض أهله، فإذا بعلي قد خرج وطلع بوجهه، قال: هو هذا، فخرجوا غضابا، وقالوا: ما بقي إلا أن يجعله نبيا، والله الرجوع إلى آلهتنا خير مما نسمع منه في ابن عمه، وليصدنا علي إن رام هذا، فأنزل الله " ولماضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون " (٤) إلى آخر الآية، فهذا الكفر الثاني، وزادوا الكفر حين قال الله: " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية " (٥) وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي

(٢٥١/٤)

أصبحت وأمسيت خير البرية، فقال له ناس: هو خير من نوح وإبراهيم ومن

---

(١) فصلت: ٣٣. (٢) آل عمران: ١٧٣. (٣) آل عمران: ١٧٤. (٤) الزخرف: ٥٧. (٥) البينة: ٧. (*)

---

[٦٥٥]

الانبياء، فأنزل الله: " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم " إلى " سميع عليم " قالوا: فهو خير منك يا محمد ؟ قال: (قال – ظ) الله: " قل إني رسول الله إليكم جميعا " (٢). ولكنه خير منكم وذريته خير من ذريتكم، ومن اتبعه خير ممن اتبعكم، فقاموا غضابا وقالوا زيادة: الرجوع إلى الكفر أهون علينا مما يقول في ابن عمه، وذلك قول الله: " إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا " (٣). عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) في هذه الآية قال: نزلت في عبد الله بن أبي سرح (٤) الذي بعثه عثمان إلى مصر، قال: وازدادوا كفرا، حتى لم يبق فيه من الايمان شئ (٥). عن أبي بصير قال: سمعته يقول في هذه الآية: من زعم أن الخمر حرام، ثم شربها، ومن زعم أن الزنا حرام، ثم زنا، ومن زعم أن الزكاة حق ولم يؤدها (٦). لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا: إذ يستبعد منهم أن يتولوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان، فإن قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت، لا أنهم لو أخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم. وخبر كان في أمثال ذلك محدوف، وتعلق به اللام، مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم.

---

(١) آل عمران: ٣٣. (٢) الاعراف: ١٥٨. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٧٩ ح ٢٨٩. (٤) عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أسلم قبل الفتح وهاجر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان يكتب له ثم ارتد مشركا وسار إلى قريش بمكة فلما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقتله أينما وجد حتى لحق استار الكعبة، ففر إلى عثمان بن عفان فغيبه حتى أتى به إلى رسول الله وأسلم ثانيا، وولاه عثمان في زمانه مصر سنة خمس وعشرين وفتح إفريقية فأعطاه عثمان جميع ما أفاء الله على المسلمين من فتح إفريقية بالمغرب، وهو أخو عثمان من الرضاع، وأسوأ أحواله خاتمته حيث شهد صفين مع معاوية على ما قيل (تلخيص من تنقيح المقال: ج ٢ ص ١٨٤ تحت رقم ٦٨٧٦). (٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٠ ح ٢٨٧. (٦) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨١ ح ٢٨٨. (*)

---

[٦٥٦]

(٢٥٣/٤)

[بشر المنفقين بأن لهم عذابا أليما (١٣٨) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩) وقد نزل عليكم في الكتب أن إذا سمعتم ءايت الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنفقين والكفرين في جهنم جميعا (١٤٠)] بشر المنفقين بأن لهم عذابا أليما: وضع " بشر " موضع " أنذر " تهكما لهم. الذين يتخذون الكفرين أولياء من دون المؤمنين: في محل النصب أو الرفع على الذم، يعنى اريد الذين، أوهم الذين. أيبتغون عندهم العزة: أيتعززون بموالاتهم. فإن العزة لله جميعا: لا يتعزز إلا من أعزه، وقد كتب العزة لاوليائه، قال " ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين " (١) لا يؤبه بعز غيرهم بالاضافة إليهم. وفي تفسير علي بن إبراهيم: نزلت في بني امية حيث خالفوهم على أن لا يردوا الامر في بني هاشم (٢). وقد نزل عليكم في الكتب: يعني القرآن. وقرأ غير عاصم " نزل " على البناء للمفعول، والقائم مقام فاعله. أن إذا سمعتم ءايت الله: وهي المخففة، والمعنى أنه إذا سمعتم. يكفر بها ويستهزأ بها: حالان من الآيات، جئ بهما لتقييد النهي (عن

---

(١) المنافقين: ٨. (٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٦ س ١٤ في تفسيره لآية ١٣٩ من سورة النساء. (*)

---

[٦٥٧]

(٢٥٤/٤)

المجالسة) (١) في قوله: فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره: الذي هو جزاء الشرط بما إذا كان من (يجالسه) (٢) هازئا معاندا غير (مرجو) (٣)، ويؤيده الغاية. والضمير في " معهم " للكفرة المدلول عليهم بقوله: " يكفر بها ويستهزأ بها ". وفي تفسير علي بن إبراهيم: آيات الله هم الائمة (عليهم السلام) (٤). وفي تفسير العياشي: عن محمد بن الفضل، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) في تفسيرها: إذا سمعت الرجل يجحد الحق ويكذب به ويقع في اهله فقم من عنده ولا

تقاعده (٥). وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن (القاسم بن بريد) (٦) قال: حدثنا أبو عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال في حديث طويل: إن الله (تبارك وتعالى) فرض الايمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها. وفرض على السمع أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرم الله، وأن يعرض عما لا يحل له مما نهى الله (عز وجل) عنه، والاصغاء إلى ما أسخط الله (عز وجل) فقال في ذلك: " وقد نزل " إلى قوله " حتى يخوضوا في حديث غيره " ثم استثنى الله (عز وجل) موضع النسيان فقال: " واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين " (٧) (٨). عدة من أصحابنا: عن أحمد بن محمد، عن شعيب العقر قوفي قال: سألت أبا

(١ و ٢) في النسخة – أ: (من المجانسة) و (يجانسه). (٣) في النسخة – أ –: (موجود). (٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٦ س ١٧ في تفسيره لآية ١٤٠ من سورة النساء. (٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨١ ح ٢٩٠. (٦) في النسخة أ: (القاسم بن يزيد)، وهو اشتباه والصحيح ما اثبتناه من المصدر ومعاجم الرجال. (٧) الانعام: ٦٨. (٨) الكافي: ج ٢ ص ٣٣ كتاب الايمان والكفر، باب في أن الايمان مبثوث لجوارح البدن كلها، قطعة من ح ١. (*)

عبد الله (عليه السلام) عن قول الله (عز وجل): " وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها " إلى آخر الآية (١) فقال: إنما عن بهذه الرجل يجحد الحق ويكذب به، ويقع في الائمة، فقم من عنده ولا تقاعده كائنا من كان (٢). إنكم إذا مثلهم: في الكفر إن رضيتم به، وإلا ففي الاثم لقدرتكم على الانكار والاعراض. وفي من لا يحضره الفقيه: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصية لا بنه محمد ابن الحنفية: ففرض على السمع أن لا تصغي به إلى المعاصي فقال (عز وجل): " وقد نزل عليكم في الكتاب ان إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم " (٣). والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. إن الله جامع المنفقين والكفرين في جهنم جميعا: فإذا كان لقاعد معهم مثلهم، والله جامعهم في جهنم، فيجمع القاعد معهم فيها. وقيل: إن هذا يؤيد أن يكون المراد بالقاعدين قوما من المنافقين، فعلى هذا يكون معناه: إن الله يجمع المنافقين، أي القاعدين والكافرين، أي المقعود معهم في جهنم جميعا، وعلى هذا يلزم أن يكون قوله: " إذا " مستدركا، لان المنافقين مثل الكافرين، قعدوا معهم أم

لم يقعدوا، و " إذا " ملغاة، لوقوعها بين الاسم والخبر، ولذلك لم يذكر بعدها الفعل: وإفراد " مثلهم " لانه كالمصدر، أو بالاستغناء بالاضافة إلى الجمع. وقرئ بالفتح على البناء لاضافته إلى مبني، كقوله: " مثل ما أنكم

---

(١) وفي الآية إيماء إلى من يجالسهم ولا ينهاهم هو من المنافقين كائنا من كان، أي سواء كان من أقا ربك أم من الاجانب، وسواء كان ظاهرا من أهل ملتك أم لا وسواء كان ظاهرا من أهل العلم أم لا، وسواء كان من الحكام أو غيرهم إذا لم تخف ضررا (مرآة العقول: ج ١١ ص ٩٠). (٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٧٧ كتاب الايمان والكفر، باب مجالسة أهل المعاصي، ح ٨. (٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٣٨٢ باب ٢٢٧ الفروض على الجوارح قطعة من ح ١. (*)

---

[٦٥٩]

[الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكفرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكفرين على المؤمنين سبيلا (١٤١) إن المنفقين يخدعون الله وهو خدعهم وإذا قاموا إلى الصلوة قاموا كسالى يرآءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا (١٤٢)] تنطقون " (١). الذين يتربصون بكم: ينتظرون وقوع أمر بكم، وهو بدل من " الذين يتخذون " أو صفة للمنافقين والكافرين، أو ذم مرفوع، أو منصوب، أو متبدأ خبره: فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم: مظاهرين لكم، فاسهموا لنا فيما غنمتم. وإن كان للكفرين نصيب: من الحرب، فإنها سجال (٢). قالوا ألم نستحوذ عليكم: أي ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم. ولاستحواذ، الاستيلاء، وكان القياس استحاذ يستحيذ استحاذة، فجاءت على الاصل.

---

(١) الذاريات: ٢٣. (٢) وفي الحديث: عليكم بالتحامي فإن الحرب سجال، أي مرة علينا، ومثله في خبر أبي سفيان وهر قل، والحرب بيننا سجال (مجمع البحرين: ج ٥ س ٣٩٣ لغة سجل). (*)

---

[٦٦٠]

ونمنعكم من المؤمنين: بأن خذلناهم عنكم، بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم، فاشركونا فيما أصبتم. سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا، لخسة نصيبهم، فإنه مقصور على أمر دنيوي سريع الزوال. فالله يحكم بينكم يوم القيمة: يفصل بينكم بالحق. ولن يجعل الله للكفرين على المؤمنين سبيلا: بالحجة وإن جاز أن يغلبوهم بالقوة. وفي عيون الاخبار: حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي (رضي الله عنه) قال: حدثني أحمد بن علي الانصاري، عن أبي الصلت الهروي قال: قلت للرضا (عليه السلام): يابن رسول الله إن في سواد الكوفة قوم يزعمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقع عليه السهو في صلاته ؟ فقال: كذبوا لعنهم الله، إن الذي لا يسهو هو الله لا إله إلا هو، قال: قلت: يابن رسول الله وفيهم قوم يزعمون أن الحسين بن علي (عليهما السلام) لم يقتل، وأنه ألقى سهمه على حنظلة بن أسعد الشامي، وأنه رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم (عليه السلام)، ويحتجون بهذه الآية: " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا " فقال: كذبوا عليهم غضب الله ولعنته، وكفروا بتكذيبهم لنبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أخباره بأن الحسين (عليه السلام) سيقتل، والله لقد قتل الحسين وقتل من كان خيرا من الحسين، أمير المؤمنين والحسن بن علي (عليهم السلام)، وما منا إلا مقتول، وإني والله لمقتول بالسم باغتيال من يغتالني، أعرف ذلك بعهد معهود إلي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبره به جبرئيل عن رب العالمين (عز وجل)، فأما قوله (عز وجل) " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا " فإنه يقول: لن يجعل الله لهم على أنبيائه (عليهم السلام) سبيلا من طريق الحجة (١).

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٢٠٣ ب ٤٦ ما جاء عن الرضا (عليه السلام) في وجه دلائل الائمة والرد على الغلاة والمفوضة لعنهم الله ح ٥. (*)

إن المنفقين يخدعون الله وهو خدعهم: سبق في سورة البقرة. وإذا قاموا إلى الصلوة قاموا كسالى: متثاقلين على نحو المكره على الفعل. وقرئ " كسالى " بالفتح، وهما جمع كسلان. في الكافي: سهل، عن ابن محبوب، عن سعد بن أبي خلف، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال: قال

أبي لبعض ولده: إياك والكسل والضجر، فإنهما يمنعانك من حظك من الدنيا والآخرة (١). على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن اذينة، عن زرارة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من كسل عن طهوره وصلاته فليس فيه خير لامر آخرته، ومن كسل عما يصلح به أمر معيشته فليس فيه خير الامر دنياه (٢). علي بن محمد رفعه قال: قال أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه): إن الاشياء لما ازدوجت، ازدوج الكسل والضجر، فنتجا بينهما الفقر (٣).

يرآءون الناس: ليخالوهم مؤمنين. والمراءاة، المفاعلة، بمعنى التفعيل، كنعم وناعم، أو للمقابلة، فإن المرائي يرى من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه. ولا يذكرون الله إلا قليلا: إذ المرائي لا يفعل إلا بحضرة من يرائيه، وهو أقل أحواله، أو لان ذكره باللسان قليل بالاضافة إلى الذكر بالقلب، ولا يذكرونه بالقلب، وإنما يذكرونه باللسان فقط للمراءاة، أو لان ذكرهم الله بالقلب قليل بالقياس إلى ما يخطر ببالهم من مراءاة من يراؤونه. وقيل: المراد بالذكر الصلاة. وقيل: الذكر فيها، فإنهم لا يذركون فيها غير التكبير (٤).

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٨٥ كتاب المعيشة، باب كراهية الكسل ح ٢. (٢) الكافي: ج ٥ ص ٨٥ كتاب المعيشة، باب كراهية الكسل ح ٣. (٣) الكافي: ج ٥ ص ٨٦ كتاب المعيشة، باب كراهية الكسل ح ٨. (٤) من قوله (والمراءاة) إلى هنا مقتبس من تفسير البيضاوي: ج ١ ص ٢٥١، لا حظ تفسيره لآية ١٤٢ من سورة النساء. (*)

وفي كتاب الخصال: عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال لقمان لابنه: يا بني لكل شئ علامة يعرف بها ويشهد عليها، إلى قوله: وللمنافق ثلاث علامات، يخالف لسانه قلبه، وفعله قوله، وعلانيته سريرته، وللكسلان ثلاث علامات: يتوانى حتى يفرط، ويفرط حتى يضيع، ويضيع حتى يأثم، واللمرائي ثلاث علامات، يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان الناس عنده، ويتعرض في كل أمر للمحمدة (١). وعن أبي الحسن الاول (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أربع خصال يفسدون القلب وينبتن النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر: استماع اللهو والبذاء، وإتيان باب السلطان الصيد (٢). وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، حديث طويل يقول فيه: ولا تقم إلى الصلاة متكا سلا ولا متنا عسا ولا متثاقلا، فإنها من خلال النفاق، وقد نهى من خلال النفاق، وقد نهى الله (عز وجل) المؤمنين أن يقوموا إلى

الصلاة وهم سكارى – يعني من النوم – وقال للمنافقين: " وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا " (٣). وفي كتاب معاني الاخبار: حدثنا أبي (رضي الله عنه) قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان قال: كنا جلوسا عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ قال له رجمن الجلساء: جعلت فداك يابن رسول الله أخاف على أن أكون منافقا ؟ فقال له: إذا خلوت في بيتك ليلا أو نهارا أليس تصلي ؟ فقال: بلى، فقال: فلمن تصلي ؟ فقال: لله (عز وجل)، فقال: فكيف تكون منافقا وأنت تصلي لله (عز وجل) لا لغيره (٤).

---

(١) الخصال: ص ١٢١، باب الثلاثة العلامات الثلاث، قطعة من ح ١١٣ بتقديم وتأخير بعض الجملات. (٢) الخصال: ص ٢٢٧، باب الاربعة أربع خصال يفسدن القلب وينبتن النفاق ح ٦٣. (٣) علل الشرائع: ج ٢ ص ٣٥٨ ب ٧٤ علة الاقبال على الصلاة وعلة النهي عن التكفير وعلة النهي عن القيام إلى الصلاة على غير سكون ووقار، قطعة من ح ١. (٤) معاني الاخبار: ص ١٤٢ باب معنى المنافق، ح ١. (*)

[مذبذ بين بين ذلك لآ إلى هؤلاء ولآ إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (١٤٣)] وفي اصول الكافي: عدة من أصحابنا، عن محمد بن أحمد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران، عن سيف بن عميرة، عن سليمان بن عمرو، عن أبي المغرا الخصاف رفعه قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): من ذكر الله (عز وجل) في السر فقد ذكر الله كثيرا، إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السر، فقال الله (عز وجل): " يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا " (١). الحسين بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن عبد الله بن عبد الرحمان الاصم، عن الهيثم بن واقد، عن محمد بن مسلم، عن ابن مسكان، عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: إن المنافق ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي، وإذا قام إلى الصلاة اعترض، قلت: يابن رسول الله وما الاعتراض ؟ قال: الالتفات، وإذا ركع ربض، يمسي وهمه العشاء وهو مفطر، ويصبح وهمه النوم ولم يسهر، إن حدثك كذبك، وإن ائتمنته خانك، وإن غبت اغتابك وإن وعدك أخلفك (٢). أبو علي الاشعري، عن الحسين بن علي الكوفي، عن عثمان بن عيسى، عن سعيد بن يسار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): مثل المنافق مثل جذع أراد

صاحبه أن ينتفع به في بعض بنيانه فلم يستقم له في الموضع الذي أراد، فحوله في موضع آخر فلم يستقم، فكان آخر ذلك أن أحرقه بالنار (٣). مذبذ بين بين ذلك: حال من واو " يراؤون " كقوله: " ولا يذكرون

" أي

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٥٠١ كتاب الدعاء، باب ذكر الله (عز وجل) في السر، ح ٢. (٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٩٦ كتاب الايمان والكفر باب صفة النفاق والمنافق ح ٣. (٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٩٦ كتاب الايمان والكفر، باب صفة النفاق والمنافق ح ٥. (*)

[يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا الكفرين أو لياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطنا مبينا (١٤٤) إن المنفقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا (١٤٥)] يراؤونهم غير ذاكرين مذبذبين، أو واو " يذكرون "، أو منصوب على الذم والمعنى، مرددين بين الايمان والكفر، من الذبذبة، وهو جعل الشئ مضطربا، وأصله الذب بمعنى الطرد. وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم، أو دينهم. أو يتذبذبون، كقولهم صلصل بمعنى تصلصل. وقرئ بالدال الغير المعجمة، بمعنى أخذوا تارة في دبة وتارة في دبة اخرى، وهي الطريقة (١). لآ إلى هؤلاء ولآ إلى هؤلاء: لا يصيرون إلى المؤمنين بالكلية، ولا إلى الكافرين كذلك يظهرون الايمان كما يظهره المؤمنون، والكن لا يضمرونه كما يضمرون، ويضمرون الكفر كما يضمره الكافرون ولكن لا يظهرونه كما يظهرون. ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا: إلى الحق والصواب، ونظيره قوله تعالى: " ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور " (٢). يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا الكفرين أولياء من دون المؤمنين: فإنه صنيع المنافقين وديدنهم، فلا تتشبهوا بهم.

---

(١) نقل القراءات المذكورة البيضاوي في تفسيره: ج ١ ص ٢٥١ لا حظ تفسيره لآية ١٤٣ من سورة النساء. (٢) النور: ٤٠. (*)

أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطنا مبينا: حجة بينة، فإن موالاة الكافرين دليل على النفاق، أو سلطانا يسلط عليكم عقابه. إن المنفقين في الدرك الاسفل من النار: وهي الطبقة التي في قعر جهنم، لانهم أخبث الكفرة، إذ ضموا إلى الكفر استهزاء بالاسلام وخداع للمسلمين. وللنار دركات وللجنة درجات. وإنما سميت طبقاتها دركات، لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض. وقرأ الكوفيون بسكون الراء، وهو لغة، كالسطر والسطر، والتحريك أوجه لانه يجمع على إدراك. وفي كتاب الاحتجاج: عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حديث طويل، وفيه يقول (عليه السلام): معاشر الناس، سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون، معاضر الناس، إن الله وأنا بريئان منهم، معاشر الناس، إنهم وأنصارهم وأشياعهم وأتباعهم في الدرك الاسفل من النار، ولبئس مثوى المتكبرين (١). ولن تجد لهم نصيرا: يخرجهم منه. وفي روضة الكافي: بإسناده إلى أبي عبد الله، حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): واعلم أن المنكرين هم المكذبون وأن المكذبين هم المنافقون وأن الله قال للمنافقين – وقوله الحق – " ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا " (٢).

---

(١) الاحتجاج: ج ١ ص ٢٦ احتجاج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الغدير على الخلق كلهم وفي غيره من الايام بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومن بعده من ولده من الائمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) س ٧. (٢) الكافي: ج ٨ ص ٣٣٣ س ١٥ قطعة من رسالة أبي عبد الله (عليه السلام) إلى جماعة الشيعة. ط النجف. (*)

[إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما (١٤٦) ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وءامنتم وكان الله شاكرا عليما (١٤٧) * لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما (١٤٨) إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا (١٤٩)] إلا الذين تابوا: عن النفاق. وأصلحوا: ما أفسدوا من إصرارهم وأحوالهم في حال النفاق. واعتصموا بالله: وثقوا به وتمسكوا بدينه. وأخلصوا

دينهم لله: لا يريدون بطاعتهم إلا وجهه. فأولئك مع المؤمنين: ومن عدادهم في الدارين. وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما: فيساهمونهم فيه. ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وءامنتم: يتشفى به غيظا، أو يدفع به ضررا أو يستجلب به نفعا، سبحانه هو الغني المتعالي عن النفع والضرر. وإنما يعاقب المصر على كفره، لان إصراره عليه كسوء مزاج يؤدي إلى مرض، فإذا زال بالايمان والشكر، ونقى نفسه عنه، تخلص من تبعته. وإنما قدم الشكر، لان الناظر يدرك النعمة أولا، فيشكر شكرا مبهما، ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به. وكان الله شاكرا: مثيبا يقبل القليل ويعطي الجزيل. عليما: بحق شكركم وإيمانكم.

لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم: إلا جهر عن ظلم، بالدعاء على الظالم أو التظلم منه. في مجمع البيان: المروي عن أبي جعفر (عليه السلام): لا يحب الله الشتم في الانتصار إلا من ظلم، فلا بأس له أن ينتصر ممن ظلمه بما يجوز الانتصار به في الدين (١). وروى عن أبي عبد الله (عليه السلام): إنه الضيف ينزل الرجل فلا يحسن ضيافته، فلا جناح عليه أن يذكره بسوء ما فعله (٢). وفي تفسير العياشي عنه (عليه السلام) في هذه الآية: من أضاف قوما فأساء ضيافتهم، فهي ممن ظلم، فلا جناح عليهم فيما قالوا فيه (٣). وعنه (عليه السلام): الجهر بالسوء من القول، أن يذكر الرجل بما فيه (٤). وفي تفسير علي بن إبراهيم بعد ما يقرب مما ذكر في المجمع أولا: وفي حديث آخر في تفسير هذا إن جاءك رجل وقال فيك ما ليس فيك من الخير والثناء والعمل الصالح فلا تقبله منه وكذبه فقد ظلمك (٥). وقرئ " إلا من ظلم " على النباء للفاعل، فيكون الاستثناء منقطعا، أي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله. وكان الله سميعا: لما يجهر به من سوء القول. عليما: بصدق الصادق وكذب الكاذب، فيجازي كلا بعمله. إن تبدوا خيرا: طاعة وبرا. أو تخفوه: تفعلوه سرا. أو تعفوا عن سوء: لكم المؤاخذة عليه، وهو المقصود. وذكر إبداء الخير

(١ و ٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٣١ في نقل المعنى لآية ١٤٨ من سورة النساء. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٣ ح ٢٩٦. (٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٣ ح ٢٩٧. (٥) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٧ س ٨ في تفسيره لآية ١٤٨ من سورة النساء. (*)

[إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا (١٥٠)] وإخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله: فإن الله كان عفوا قديرا: أي يكثر العفو عن العصاة، مع كمال قدرته على الانتقام فأنتم لعدم كمال قدرتكم أولى بذلك، وهو حث المظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق. وفي تقديم العفو على القدير إشارة لطيفة إلى أن العافي من كمال عفوه، أن لا يشعر بقدرته حين العفو، ليتم إحسانه بالنسبة إلى المعفو عنه، ولا يصير كا لمن بعد الصدقة. إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله: بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله. ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض: نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض، كما فعلته اليهود صدقوا بموسى ومن تقدمه من الانبياء، وكذبوا عيسى ومحمدا (صلوات الله عليهما)، وكما فعلت النصارى صدقوا عيسى ومن تقدمه، وكذبوا محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم)، هكذا قيل (١). والاولى أن يفسر التفريق بالايمان بالله والايمان بالرسل، أو ببعضهم، ويجعل قوله: " ويقولون " بيانا للتفريق، ليناسبه قوله: ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا: طريقا وسطا بين الايمان والكفر،

---

(١) اورده السيوطي في تفسيره الدر المنثور: ج ٢ ص ٧٢٥ نقلا عن قتادة، لا حظ تفسيره لآية ١٥٠ من سورة النساء. (*)

[أولئك هم الكفرون حقا وأعتدنا للكفرين عذابا مهينا (١٥١) والذين ءامنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما (١٥٢)] ولا واسطة، إذ الحق لا يختلف، فإن الايمان بالله إنما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا وإجمالا، فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال، كما قال: أولئك هم الكفرون: أي الكاملون في الكفر، لا عبرة بإيمانهم هذا. حقا: مصدر مؤكد لغيره، أو صفة لمصدر الكافرين، يعني هم الذين كفروا كفرا حقا، أي يقينا محققا. وأعتدنا ناللكفرين عذابا مهينا: يهينهم ويذلهم. وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال: هم الذين أقروا برسول الله وأنكروا أمير المؤمنين (عليهما السلام) (١)، ومعناه: أن ذلك كفر

ببعض الرسل، أي بما جاء به من ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكذلك الذين أقروا برسول الله (صلى الله عليه وآله) وبأمير المؤمنين وأنكروا ما قرراه من الشرع الظاهر وآمنوا بأمر آخر سموه باطنا، وسموا الايمان به إيمانا حقيقيا. والذين ءامنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم: وآمنوا بجميعهم وجميع ما جاؤوا به. وإنما دخل " بين " على " أحد " وهو يقتضي متعددا، لعمومه، من حيث أنه وقع في سياق النفي.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٧ س ١٢ في تفسيره لآية ١٥١ من سورة النساء. (*)

[يسئلك أهل الكتب أن تنزل عليهم كتبا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينت فعفونا عن ذلك وءاتينا موسى سلطنا مبينا (١٥٣)] أولئك سوف يوتيهم أجورهم: الموعودة لهم. سمي الثواب أجرا، للدلالة على استحقاقهم لها. والتصدية بـ " سوف " للدلالة على أنه كائن لا محالة، وإن تأخر. وقرأ حفص عن عاصم، وقالون عن يعقوب، بالياء على تلوين الخطاب (١). وكان الله غفورا: لم يزل يغفر ما فرط منهم من المعاصي. رحيما: يتفضل عليهم بتضعيف الحسنات. يسئلك أهل الكتب أن تنزل عليهم كتبا من المساء: في مجمع البيان: روي أن كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود قالوا: إن كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى (٢). وقيل: كتابا محررا بخط سماوي على ألواح كما كانت التوراة، أو كتابا نعاينه حين ينزل، أو كتابا إلينا بأعياننا بأنك رسول الله (٣). فقد سألوا موسى أكبر من ذلك: جواب شرط مقدر، إي إن استكبرت ما

---

(١) قوله: (على تلوين الخطاب) أي على الالتفات من التكلم إلى الغيبة (من حاشية الكازروني على البيضاوي). (٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٣٣ في شأن نزول آية ١٥٣ من سورة النساء. (٣) نقله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٣ في تفسيره لآية ١٥٣ من سورة النساء وفي مجمع البيان أيضا. (*)

[ورفعنا فوقهم الطور بميثقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثقا غليظا (١٥٤)] سألوه منك، فقد سألوا موسى أكبر منه. وهذا السؤال وإن كان من آبائهم، اسند إليهم، لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم. والمعنى: إن عرفهم راسخ في ذلك وإن ما اقتر حوه عليك، ليس بأول جهالاتهم وخيالاتهم. فقالوا أرنا الله جهرة: عيانا، أي أرنا نره جهرة، أو مجاهرين ومعاينين. فأخذتهم الصعقة: نار جاءت من السماء فأهلكتهم. بظلمهم: بسبب ظلمهم وتعنتهم وسؤالهم بما يستحيل على الله تعالى. ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاء تهم البينت: هذه الجناية الثانية التي اقترفها أيضا أوائلهم. و " البينات " المعجزة، ولا يجوز حملها على التوراة، إذ لم يأتهم بعد. فعفونا عن ذلك: لسعة رحمتنا. وءاتينا موسى سلطنا مبينا: حجة بينة تبين صدقه. ورفعنا فوقهم الطور: الجبل. بميثاقهم: ليقبلوه. وقلنا لهم: على لسان موسى، والجبل مطل عليهم. ادخلوا الباب: أي باب حطة. سجدوا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت: قيل: على لسان داود. ويحتمل أن يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم، فإنه شرع السبت، ولكن كان

[فبما نقضهم ميثقهم وكفرهم بايت الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا (١٥٥) وبكفرهم وقولهم على مريم بهتنا عظيما (١٥٦)] الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود (١). وقرأ ورش عن نافع " لا تعدوا " على أن أصله لا تعتدوا، فادغمت التاء في الدال. وقرأ قالون بإخفاء حركة العين وتشديد الدال، والنص عنه بالاسكان. وأخذنا منهم ميثقا غليظا: على ذلك، وهو قولهم: سمعنا وأطعنا. فبما نقضهم ميثقهم: أي فخالفوا ونقضوا، ففعلنا ما فعلنا بنقضهم. و " ما " مزيدة للتأكيد، والباء متعلقة بالفعل المحذوف، ويجوز أن يتعلق بـ " حرمنا عليهم " المذكور الآتي، فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه إلى قوله: " فبظلم " لا بما دل عليه قوله: " بل طبع الله عليها " مثل " لا يؤمنون " لانه رد لقولهم: " قلوبنا غلف " فيكون من صلة قولهم المعطوف على المجرور، فلا يتعلق به جاره. وكفرهم بايت الله: بالقرآن، أو بما في كتابهم. وقتلهم الانبياء بغير حق: في تفسير علي بن إبراهيم: قال: هؤلاء لم يقتلوا الانبياء وإنما قتلهم اجدادهم فرضي هؤلاء بذلك، فألزمهم الله القتل بفعل أجدادهم، وكذلك من رضي بفعل

---

(١) نقله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٤ في تفسيره لآية ١٥٤ من سورة النساء. (*)

فقد لزمه وإن لم يفعله (١). وقولهم قلوبنا غلف: أو عية للعلوم، أو في أكنة، وقد مر تفسيره. بل طبع الله عليها بكفرهم: فجعلها محجوبة عن العلم بخذلانها، ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكير بالمواعظ. وفي عيون الاخبار: بإسناده إلى إبراهيم بن أبي محمود قال: سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام)، إلى أن قال: وسألته عن قول الله (عز وجل): " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم " قال: الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم قال (عز وجل): " بل طبع الله " إلى قوله: " بهتانا عظيما " (٢). فلا يؤمنون إلا قليلا: منهم كعبد الله بن: سلام، أو إيمانا قليلا ولا عبرة به لنقصانه. وبكفرهم: بعيسى، وهو معطوف على " بكفرهم " لانه من أسباب الطبع، أو على قوله: " فبما نقضهم ". ويجوز أن يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله، ويكون تكرير ذكر الكفر إيذانا بتكرير كفرهم، فإنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد (صلى الله عليه وآله). وقولهم على مريم بهتنا عظيما: يعني نسبتها إلى الزنا. في أمالي الصدوق (رحمه الله): بإسناده إلى الصادق (عليه السلام)، حديث طويل يقول فيه لعلقمة: يا علقمة إن رضا الناس لا يملك وألسنتهم لا تضبط، ألم ينسبوا مريم ابنة عمران (عليها السلام) إلى أنها حملت بعيسى من رجل نجار اسمه يوسف (٣).

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٧ س ١٥ في تفسيره لآية ١٥٥ في تفسيره لآية ١٥٥ من سورة النساء. (٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٢٣ باب ١١ ما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الاخبار في التوحيد ح ١٦. (٣) الامالي: ص ٩١، المجلس الثاني والعشرون ح ٣ ص ٢٣. (*)

[وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧)] وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله: يعني رسول الله بزعمه. ويحتمل أنهم قالوه استهزاء، ونظيره " إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون " (١) وأن يكون استئنافا من الله بمدحه، أو وصفا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح. وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم: قد مضى ذكر هذه القصة في سورة آل عمران عند قوله تعالى: " إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي " (٢). قيل: إنما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم (٣) به، لا لقولهم هذا على حسب حسابهم (٤). والظاهر أن ذمهم لجرأتهم وقولهم كليهما. و " شبه " مسند إلى الجار والمجرور، وكأنه قيل: ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول، أو إلى الامر، أو إلى ضمير المقتول، لدلالة " إنا قتلنا " على أن ثمة مقتولا. وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى سدير الصير في عن أبي

---

(١) الشعراء: ٢٧. (٢) آل عمران: ٥٥. (٣) بجح في حديث أم زرع (وبجحني فبجحت) أي فرحني ففرحت (النهاية لابن الاثير: ج ١ ص ٩٦. لغة بجح). (٤) أي لم يذمهم الله تعالى لمجرد قولهم المذكور، إذ هو مطابق ظنهم، أو ليس قصدهم الكذب حتى يذموا، بل ذمهم باعتبار ما يستفاد من كلامهم من التبجح والسرور بقتله (من حاشية الكازروني على تفسير البيضاوي). (*)

عبد الله (عليه السلام)، حديث طويل، وفيه: وأما غيبة عيسى (عليه السلام)، فإن اليهود والنصارى اتفقت على أنه قتل، فكذبهم الله (جل ذكره) بقوله: " وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم " (١). وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عمير، عن جميل بن صالح، عن عمران بن أعين، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إن عيسى (عليه السلام) وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه، فاجتمعوا إليه عندالمساء وهم اثنا عشر رجلا، فأدخلهم بيتا، ثم خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء، فقال: إن الله أوحى إلى أنه رافعي إليه الساعة ومهطري من اليهود، فأيكم يلقى عليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي ؟ فقال شاب منهم: أنا يا روح الله، فقال، فأنت هوذا، فقال لهم عيسى: أما أن منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، فقال رجل منهم: أنا هو يا نبي الله، فقال عيسى: أتحس بذلك في نفسك فلتكن هو، ثم قال لهم عيسى أما أنكم ستفترقون

بعدي على ثلاث فرق، فرقتين مفتريتين على الله، في النار وفرقة تتبع شمعون صادقة على الله في الجنة، ثم قال: رفع الله عيسى إليه من زاوية البيت وهم ينظرون إليه، ثم قال أبو جعفر (عليه السلام): إن اليهود جاءت في طلب عيسى من ليلتهم فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى: إن منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، وأخذوا الشاب الذى القي عليه شبح عيسى، فقتل وصلب، وكفر الذى قال له عيسى: تكفر قبل أن تصبح اثنتى عشرة كفرة (٢) وإن الذين اختلفوا فيه: في شأن عيسى. قال البيضاوي: إنه لما وقعت تلك الواقعة، اختلف الناس، فقال بعض اليهود: إنه كان كاذبا، فقتلناه حقا، وتردد أخرون فقال بعضهم: إن كان هذا

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٣٤٥ الباب الثاث والثلاثون (ما أخبر به الصادق (عليه السلام) من وقوع الغيبة) ح ٥٠ س ١٧. (٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٠٣ في تفسيره لآية ٥٥ من سورة آل عمران. (*)

[بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨) وإن من أهل الكتب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا (١٥٩)] عيسى، فأين صاحبنا ؟ فقال بعضهم: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا، وقال من سمع منه إن الله يرفعني إلى السماء: إنه رفعه إلى السماء، فقال قوم: صلب الناسوت وصعد اللاهوت (١). لفى شك منه: لفي تردد. والشك كما يطلق على ما لا يترجح أحد طرفيه، يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم، ولذلك أكده بقوله: مالهم به من علم إلا اتباع الظن: استثناء منقطع، أي ولكنهم يتبعون الظن. ويجوز أن يفسر الشك بالجهل، والعلم بالاعتقاد الذي يسكن إليه النفس جزما كان أو غيره، فيتصل الاستثناء. وما قتلوه يقينا: أي وما قتلوه قتلا يقينا، أو ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم: " إن قتلنا المسيح " أو يجعل " يقينا " تأكيدا لقوله: " وما قتلوه " كقولك: وما قتلوه حقا، أي حق انتفاء قتله حقا، وقيل: هو من قولهم: قتلت الشئ علماء إذا بالغ فيه علمك. وفيه تهكم، لانه إذا نفي عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل: وما علموه علم يقين وإحاطة، لم يكن إلا تهكما بهم. بل رفعه الله إليه: رد وإنكار لقتله، وإثبات لرفعه. وفي من لا يحضره الفقيه: عن زيد بن علي، عن أبيه سيد العابدين (عليه السلام)، حديث طويل، وفيه يقول (عليه السلام): وإن لله (تبارك وتعالى) بقاعا في سماواته، فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به إليه، ألا تسمع الله يقول:

---

(١) نقله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٥ في تفسيره لآية ١٥٧ من سورة النساء. (*)

" تعرج الملائكة والروح إليه " (١) ويقول (عز وجل) في قصة عيسى بن مريم: " بل رفعه الله إليه " (٢). وفي تفسير علي بن إبراهيم: رفع وعليه مدرعة من صوف (٣). وفي تفسير العياشي: عن الصادق (عليه السلام) قال: رفع عيسى بن مريم (عليهما السلام) بمدرعة صوف من غزل مريم، ومن نسج مريم، وخياطة مريم، فلما انتهى إلى السماء نودي يا عيسى ألق عنك زينة الدنيا (٤). وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى محمد بن إسماعيل القرشي عمن حدثه، عن إسماعيل بن أبي رفع، عن أبيه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن جبرئيل (عليه السلام) نزل علي بكتاب فيه خبر الملوك، ملوك الارض قبلي وخبر من بعث قبلي من الانبياء والرسل، وهو حديث طويل قال فيه (عليه السلام): إن عيسى بن مريم أتى بيت المقدس فمكث يدعوهم ويرغبهم فيما عند الله ثلاث وثلاثين سنة حتى طلبته اليهود وادعت أنها عذبته ودفنته في الارض حيا، وادعى بعضهم أنهم قتلوه وصلبوه وما كان الله ليجعل لهم سلطانا عليه، وإنما شبه لهم وما قدروا على عذابه ودفنه، ولا على قتله وصلبه، لانهم لو قدروا على ذلك لكان تكذيبا لقوله تعالى: " بل رفعه الله إليه " بعد أن توفاه (عليه السلام) (٥). وبإسناده إلى أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، حديث طويل يذكر فيه القائم (عليه السلام). وفيه: فإذا نشر راية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انحط عليه ثلاثة عشر ألف ملك، وثلاثة عشر ملكا كلهم ينتظر القائم (عليه السلام) وهم الذين كانوا مع نوح (عليه السلام) في السفينة والذين كانوا مع

---

(١) المعارج: ٤. (٢) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ١٢٧ باب ٢٩ فرض الصلاة قطعة من ح ٤. (٣) لم اعثر عليه في تفسير القمي ولكن رواه في الصافي: ج ١ ص ٤٧٩ في تفسيره لآية ١٥٨ من سورة النساء. (٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٥ ح ٥٣. (٥) كمال الدين وتمام النعمة:

---

[٦٧٨]

إبراهيم الخليل (عليه السلام) حين القي في النار وكانوا – قيل – مع عيسى (عليه السلام) حيث رفع (١). وفي اصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، وعلي بن محمد، عن سهل بن زياد جميعا، عن ابن محبوب، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لما قبض – أمير المؤمنين (عليه السلام) قال الحسن بن علي في مسجد الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال: أيها الناس، إنه قد قبض في هذا الليل رجل ما سبقه الاولون ولا يدركه الآخرون، والله لقد قبض في الليلة التي قبض فيها وصي موسى، يوشع بن نون، والليلة التي عرج فيها عيسى بن مريم، والليلة التي ينزل فيها القرآن، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة (٢). وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني الحسين بن عبد الله السكيني، عن أبي سعيد البجلي، عن عبد الملك بن هارون، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، عن الحسن بن علي (عليهما السلام)، وذكر حديثا طويلا، وفيه: قال (عليه السلام): وقد ذكر عيسى بن مريم (عليهما السلام)، وكان عمره ثلاث وثلاثون سنة ثم رفعه الله إلى السماء، ويهبط إلى الارض بدمشق، وهو الذي يقتل الدجال (٣). وكان الله عزيزا: لا يغلب على ما يريده.

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٦٧١ الباب الثامن والخمسون (نوادر الكتاب) ح ٢٢ وصدر الحديث (قال أبو عبد الله (عليه السلام): كأني انظر إلى القائم (عليه السلام) على ظهر النجف، فإذا استوى على ظهر النجف ركب فرسا أدهم أبلق بين عينيه شمراخ، ثم ينتقض فرسه فلا يبقى أهل بلدة الا وهم يظنون أنه معهم في بلادهم، فإذا نشر راية..) وتمام الحديث (واربعة آلاف مسومين ومردفين، وثلاث ثمائة وثلاثة عشر ملكا يوم بدر واربعة آلاف ملك الذين هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي (عليه السلام)، فلم يؤذن لهم، فصعدوا في الاستئذان وهبطوا وقد قتل الحسين (عليه السلام) فهم شعث غبر يبكون عند قبر الحسين (عليه السلام) إلى يوم القيامة، وما بين قبر الحسين (عليه السلام) إلى السماء، مختلف الملائكة). (٢) الكافي: ج ١ ص ٤٥٧ كتاب الحجة، باب مولد أمير المؤمنين (عليه السلام)، قطعة من ح ٨. (٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ٢ ص ٢٧٠ س ٢١ في تفسيره لآية ٧ من سورة الشورى. (*)

حكيما: فيما دبر لعباده. وإن من أهل الكتب إلا ليؤمنن به قبل موته: قيل: أي وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به، فقوله: " ليؤمنن به " جملة قسمية وقعت صفة لاحد، ويعود الضمير الثاني إليه، والاول إلى عيسى، لمعنى: مامن اليهود النصارى أحد إلا ليؤمنن بأن عيسى عبد الله ورسوله قبل أن يموت ولو حين يزهقه روحه ولا ينفعه إيمانه. ويؤيد ذلك أن قرئ " إلا ليؤمنن به قبل موتهم " بضم النون، لان أحد في معنى الجمع، وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل أن يضطروا إليه ولم ينفعهم إيمانهم. وقيل: الضميران لعيسى، والمعنى إذا نزل من السماء آمن به أهل الملل جميعا (١). وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن أبي حمزة، عن شهر بن حوشب قال: قال لي الحجاج: يا شهر، آية في كتاب الله قد أعيتني ؟ ! فقلت: أيها الامير أية آية هي ؟ فقال قوله: " وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته " والله إني لآمر باليهودي والنصراني فيضرب عنقه، ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفتيه حتى يخمد، فقلت: أصلح الل الامير، ليس على ما تأولت، قال: كيف هو ؟ قلت: إن عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا غيره إلا آمن به قبل موته، ويصلي خلف المهدي، قال: ويحك أنى لك هذا ومن أين جئت به ؟ ! فقلت: حدثني به محمد بن علي بن

---

(١) نقله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٥ في تفسيره لآية ١٥٩ من سورة النساء، ثم قال: (وروي أنه (عليه الصلاة والسلام) ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمن به حتى يكون الملة واحدة، وهي ملة الاسلام، وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل، والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات، ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه). (*)

الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، فقال: جئت بها من عين صافية (١). وروي فيه أيضا: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا رجع آمن به الناس كلهم (٢). وفي تفسير العياشي: عن أبي جعفر (عليه السلام) في تفسيرها: ليس من أحد من جميع الاديان يموت إلا رأى رسول الله وأمير المؤمنين (عليهما السلام) حقا من الاولين والآخرين (٣). وفي مجمع البيان: في أحد معانيها: ليؤمنن بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل موت الكتابي عن عكرمة، ورواه أصحابنا أيضا، قال: وفي هذه الآية دلالة على أن كل كافر يؤمن عند المعاينة، وعلى أن إيمانه ذلك غير مقبول كما لا يقبل إيمان فرعون في حال اليأس عند زوال التكليف (٤). ويقرب من هذا ما رواه الامامية: أن المحتضرين من جميع الاديان يرون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلفاءه عندالوفاة (٥). ويروون في ذلك عن علي (عليه السلام) أنه قال للحارث الهمداني: يا حار همدان من يمت يرني * من مؤمن أو منافق قبلا يعرفني طرفه وأعرفه * بعينه واسمه وما فعلا (٦) وفي الجوامع عنهما (عليهما السلام): حرام على روح أن تفارق جسدها حتى ترى محمدا وعليا (٧). وفي تفسير العياشي: عن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن هذه الآية ؟ فقال: هذه نزلت فينا خاصة، إنه ليس رجل من ولد فاطمة يموت ولا يخرج من

(١ و ٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٨ في تفسيره لآية ١٥٩ من سورة النساء. (٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٤ ح ٣٠٣. (٤ و ٥ و ٦) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٣٨ س ١ - ١ في تفسيره لآية ١٥٩ من سورة النساء، وفي البحار: ج ٨٢ ص ١٧٤ كتاب الطهارة، باب النوادر ح ٨ وفي: ج ٨١ باب آداب الاحتضار واحكامه فلا حظ، وفي امالي المفيد: ص ٦ و ٧ المجلس الاول. (٧) جوامع الجامع: ص ١٠١، سورة النساء س ٢٧. (*)

[فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبت أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا (١٦٠) وأخذ هم الربوا وقدا نهوا عنه وأكلهم أمول الناس بالبطل وأعتدنا للكفرين منهم عذابا أليما (١٦١)] الدنيا حتى يقر للامام وبإمامته، كما أقر ولد يعقوب ليوسف حين قالوا: " تالله لقد آثرك الله علينا " (١) (٢). وفي تفسير فرات بن إبراهيم: الكوفي: قال: حدثني عبيد بن كثير معنعنا، عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي إن فيك مثلا من عيسى بن مريم قال الله تعالى: " وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم

شهيدا " يا علي إنه لا يموت رجل يفتري على عيسى بن مريم (عليه السلام) حتى يؤمن به قبل موته ويقول فيه الحق حيث لا ينفعه ذلك شيئا وإنك يا علي مثله لا يموت عدوك حتى يراك عند الموت فتكون عليه غيظا وحزنا حتى يقر بالحق من أمرك ويقول فيه الحق ويقر بولايتك حتى لا ينفعه ذلك شيئا وأما وليك فإنه يراك عند الموت فتكون له شفيعا ومبشرا وقرة عين (٣). ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا: على اليهود بالتكذيب، وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله ويكون الرسول والامام شهيدا على أعمال كل واعتقاداتهم. فبظلم من الذين هادوا: أي فبظلم عظيم منهم. حرمنا عليهم طيبت أحلت لهم: في الآية التي ذكرت في الانعام " وعلى

---

(١) يوسف: ٩١. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٣ ح ٣٠٠. (٣) تفسير فرات بن إبراهيم: ص ٣٤ س ٣. (*)

[لكن الرسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بمآ أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما (١٢٦)] الذين هادوا " الآية (١). في تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: من زرع حنطة في أرض ولم يزك زرعه فخرج زرعه كثير الشعير، فبظلم علمه في ملك رقبة الارض، أو بظلم لمزارعيه واكرته، لان الله (عز وجل) يقول: " فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم " يعني لحوم الابل والبقر والغنم (٢). وفي الكافي والعياشي عن الصادق (عليه السلام) مثله (٣) (٤). وبصدهم عن سبيل الله كثيرا: اناسا كثيرا، أو صدا كثيرا. وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه: كان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا. وفيه دلالية على دلالة النهي على التحريم. وأكلهم أموال الناس بالبطل: بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة. وأعتدنا للكفرين منهم عذابا أليما: دون من تاب. لكن الرسخون في العلم منهم: كعلمائهم المؤمنين.

---

(١) الانعام: ١٤٦. (٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٨ س ١١ في تفسيره لآية ١٦٠ من سورة النساء. (٣) الكافي: ج ٥ ص ٣٠٦ كتاب المعيشة، باب النوادر قطعة من ح ٩. (٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٤ ح ٣٠٤. (*)

---

[٦٨٣]

(٢٨١/٤)

[* إنآ أو حينا إليك كمآ أو حينا إلى نوح والنبين من بعده وأو حينآ إلى إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وءاتينا داود زبورا (١٦٣) ورسلا قد قصصنهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما (١٦٤)] والمؤمنون: أي منهم، وهو من آمن به غير العلماء، أو من المهاجرين والانصار. يؤمنون بمآ أنزل إليك وما أنزل من قبلك: خبر المبتدأ. والمقيمين الصلوة: نصب على المدح إن جعل " يؤمنون " الخبر، لـ " اولئك " والواو اعتراض، أو عطف على " ما انزل ". والمراد بهم الانبياء، وإن جعل الخبر " اولئك " فيكون " يؤمنون " حالا، ويحتمل العطف عليه بإرادة التنكير. وقرئ بالرفع عطفا على " الراسخون " أو الضمير في " يؤمنون "، أو على أنه مبتدأ والخبر " اولئك ". والمؤتون الزكوة: رفعه لاحد الوجوه المذكورة. والمؤمنون بالله واليوم الاخر: قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع، لانه المقصود بالآية. أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما: على جمعهم بين الايمان والعمل الصالح. وقرأ حمزة " سيؤتيهم " بالياء. إنا أو حينا إليك كمآ أو حينآ إلى نوح والنبين من بعده: قيل: جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم، أن ينزل عليهم كتابا من السماء، واحتجاج عليهم

---

[٦٨٤]

(٢٨٢/٤)

بأن أمره في الوحي كسائر الانبياء (١). في تفسير العياشي: عن زرارة وحمران، عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) قال: إني أو حيت إليك كما أو حيت إلى نوح والنبيين من بعده، فجمع له كل وحي (٢). وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: بينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالسا وعنده جبرئيل إذ حانت من جبرئيل نظرة قبل السماء، إلى أن قال: قال جبرئيل: إن هذا حاجب الرب وأقرب خلق الله منه واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء فإذا تكلم الرب (تبارك وتعالى) بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه ثم القاه إلينا نسعى به في السماوات والارض (٣). وفي اصول الكافي: عن

أبي جعفر (عليه السلام)، حديثا طويل، يقول فيه (عليه السلام): فلما استجاب الله لكل نبي من استجاب له في قومه من المؤمنين يجعل لكل منهم شرعة ومنهاجا والشرعة والمنهاج سبيل وسنة وقال لمحمد (صلى الله عليه وآله): أنا أوحيت إليك كما أو حينا إلى نوح والنبيين من بعده وأمر كل نبي بالاخذ بالسبيل والسنة وكل من السبيل والسنة التي أمر الله (عز وجل) بها موسى (عليه السلام) أن جعل عليهم السبت (٤). وأو حيناآ إلى إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمن: قيل: خصصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم، تعظيما لهم، فإن إبراهيم أول اولي العزم منهم، وعيسى آخرهم، والباقين أشرف الانبياء ومشاهيرهم (٥).

---

(١) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٦ في تفسيره لآية ١٦٣ من سورة النساء. (٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٥ ح ٣٠٥. (٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ٢ ص ٢٨ في تفسيره آية ٩٥ من سورة الاسراء. (٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٩ باب كتاب الكفر والايمان قطعة من ح ١. (٥) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٦ في تفسيره لآية ١٦٣ من سورة النساء. (*)

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام)، حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): وكان ما بين آدم ونوح من الانبياء مستخفين ومستعلنين، ولذلك خفي ذكرهم في القرآن فلم يسموا كما سمي من استعلن من الانبياء، وهو قول الله (عز وجل): " ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك " (١) يعني لم نسم المستخفين كما نسمي المستعلنين من الانبياء (٢). وفي روضة الكافي: عن أبي جعفر (عليه السلام) مثله (٣). وءاتينا داود ربورا: وقرأ حمزة بضم الزاي، وهو جمع زبر بمعنى مزبور. وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير، عن سعد الاسكاف، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اعطيت السور الطوال مكان التوراة، واعطيت المئين مكان الانجيل، واعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمفصل ثمان وستون سورة (٤) (٥).

---

(١) سيأتي عن قريب. (٢) كمال الدين: ص ٢١٥ باب ٢٢ اتصال الوصية من لدن آدم (عليه السلام) وأن الارض لا تخلو من حجة لله (عز وجل) على خلقه إلى يوم القيامة قطعة من ح ٢ ص ١٢. (٣) الكافي: ج ٨ ص ١١٥ (حديث آدم مع الشجرة) ح ٩٢ س ٨. (٤) السبع الطوال، البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والانعام، والاعراف، والانفال مع التوبة، لانها تدعى القرينتين، ولذلك لم يفصل بينهما بسم الله الرحمن الرحيم، وإنما سميت هذه السور الطوال، لانها أطول سور القرآن. وأما المثاني فهي السورة التالية للسبع الطوال، فأولها سورة يونس، وآخرها سورة النحل، وإنما سميت مثاني، لانها ثنيت الطوال أي تلتها، فكان الطوال المبادئ والمثاني لها ثواني وأما الماؤون فهي كل سورة تكون نحوا من مائة آية، أو فويق ذلك أو دوينه، وهي سبع أولها سورة بني إسرائيل وآخرها المؤمنون، وقيل: أن المائين ماولى السبع الطوال ثم المثاني بعدها، وهي التي يقصر عن المائين ويزيد على المفصل، وسميت مثاني، لان المائين مبادئها، أما المفصل فما بعد الحواميم إلى آخر القرآن، طوالها من سورة محمد إلى النبأ، ومتوسطاته منه إلى الضحى، وقصاره منه إلى آخر القرآن، وسميت مفصلا لكثرة الفصول بين سروها بـ " بسم الله الرحمن الرحيم ". انتهى (مرآة العقول: ج ١٢ ص ٤٨١ نقلا عن مجمع البيان). (٥) الكافي: ج ٢ ص ٦٠١ كتاب فضل القرآن، ح ١٠ وليس في الحديث جملة (عن أبي عبد الله (عليه (*)

وفيه: عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): وأنزل الزبور لثمان عشر خلون من شهر رمضان (١). والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. ورسلا: نصب بمضمر دل عليه " أوحينا " إليه كأرسلنا أو فسره. قد قصصنهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما: قيل: وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم، وقد فضل الله محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن أعطاه ما أعطى كل واحد منهم. وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن النبي (صلى الله عليه وآله) حديث في قصة الاسراء، وفيه يقول (صلى الله عليه وآله): ثم ركبت فمضينا ما شاء الله، ثم قال لي: انزل فصل، فنزلت وصليت، فقال لي: أتدري أين صليت ؟ فقلت: لا، فقال: صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى تكليما (٢). وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حديث طويل في مكالمة بينه وبين

اليهود، وفيه، قالت اليهود، موسى خير منك، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ولم ؟ قالوا: لان الله (عز وجل) كلمه باربعة آلاف كلمة ولم يكلمك بشئ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لقد اعطيت أنا أفضل من ذلك، قالوا: وما ذاك ؟ قال: قوله (عز وجل): " سبحان الذي أسرى " الحديث (٣) (٤). وروى عن صفوان بن يحيى، قال: سألني أبو قرة المحدث صاحب شبرمة أن

السلام) وتمام الحديث: (وهو مهيمن على سائر الكتب والتوراة لموسى والانجيل لعيسى والزبور لداود). (١) الكافي: ج ٢ ص ٦٢٩ كتاب فضل القرآن، باب النوادر، قطعة من ح ٦. (٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ٢ ص ١ سورة بني إسرائيل س ١٦. (٣) الاسراء: ١. (٤) الاحتجاج: ج ١ ص ٤٨ احتجاجه (صلى الله عليه وآله) على اليهود في جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك س ١٩. (*)

أدخله إلى أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، فاستأذنت فأذن لي، فدخل، فقال له: أخبرني جعلني الله فداك عن كلام الله لموسى (عليه السلام) ؟ فقال: الله أعلم ورسوله بأي لسان كلمه بالسريانية أم بالعبرانية ؟ فأخذ أبو قرة بلسانه، فقال: إنما أسألك عن هذا اللسان، فقال أبو الحسن (عليه السلام): سبحان الله مما تقول ! ومعاذ الله أن يشبه خلقه، أو يتكلم بمثل ماهم يتكلمون، ولكنه (تبارك وتعالى) ليس كمثله شئ، ولا كمثله قائل فاعل، قال: كيف ذلك ؟ قال: كلام الخالق للمخلوق، ليس ككلام المخلوق للمخلوق، ولا يلفظ بشق فم ولسان، ولكن يقول له: " كن فيكون "، فكان بمشيئته ما خاطب به موسى من الامر والنهي عن غير تردد في نفس (١). وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن محمد بن خالد الطيالسي، عن صفوان ابن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: لم يزل الله متكلما ؟ قال: فقال: إن الكلام صفة محدثة، ليس بأزلية، كان الله (عز وجل) ولا متكلم (٢). وفي كتاب الخصال: بإسناده إلى الضحاك، عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن الله ناجى موسى بمائة ألف كلمة وأربعة وعشرين ألف كلمة في ثلاثة أيام والياليهن ما طعم فيها موسى ولا شرب فيها، فلما انصرف إلى بني إسرائيل وسمع كلامهم، مقتهم لما كان وقع في مسامعه من حلاوة كلام الله (عز وجل) (٣). وفي كتاب التوحيد: بإسناده إلى محمد بن الجهم، عن أبي الحسن (عليه السلام)، حديث طويل، وفيه يقول

(عليه السلام): حاكيا عن موسى (عليه السلام) في قومه، فخرج بهم إلى طور سيناء، فأقامهم في سفح الجبل، وصعد موسى

---

(١) الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٠٥ (احتجاج الامام الرضا (عليه السلام) على أبي قرة المحدث) س ١. (٢) الكافي: ج ١ ص ١٠٧ كتاب التوحيد، باب صفات الذات، قطعة من ح ١. (٣) الخصال: ص ٦٤١ (ما بعد الالف) ناجى الله تعالى موسى بمائة ألف كلمة وأربعة وعشرين الف كلمة، ح ٢٠. (*)

[رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (١٦٥)] (عليه السلام) إلى الطور، وسأل (تبارك وتعالى) أن يكلمه ويسمعهم كلامه، فكلمه الله (تعالى ذكره) وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، لان الله تعالى أحدثه في الشجرة، ثم جعله منبعثا منها حتى سمعوه من جميع الوجوه (١). وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): كلم الله موسى تكليما بلا جوارح وأدوات وشفة، ولا لهوات (٢) سبحانه وتعالى عن الصفات (٣). وعنه (عليه السلام) في حديث وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات: وكلام الله تعالى ليس بنحو واحد، منه ما كلم الله به الرسل، ومنه ما قذفه في قلوبهم، ومنه رؤيا يريها الرسل، ومنه وحي وتنزيل يتلى ويقرأ فهو كلام الله، فاكتف بما وصفت لك من كلام الله، فإن كلام الله ليس بنحو واحد، فإن منه ما تبلغ رسل السماء رسل الارض (٤). رسلا مبشرين ومنذرين: نصب على المدح، أو بإضمار " أرسلنا " أو على الحال ويكون " رسلا " موطئا لما بعده، كقولك: مررت بزيد رجلا صالحا. لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل: فيقولوا: لو لا أرسلت إلينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نعلم، واللام متعلقة بـ " أرسلنا " وبقوله: " مبشرين

---

(١) التوحيد: ص ١٢١ باب ما جاء في الرؤية، ح ٢٤ س ١٣ والحديث عن علي بن محمد بن الجهم. (٢) في الحديث: يحرك الرجل لسانه في لهواته، هي بالتحريك جمع لهاة كحصاة، وهي سقف الفم، وقيل: هي اللحمة الحمراء المتعلقة في اصل الحنك (مجمع البحرين: ج ١ ص ٣٨٥ لغة لها). (٣) التوحيد: ص ٧٩ باب التوحيد ونفي التشبيه قطعة من ح ٣٤. (٤) التوحيد ص ٢٦٤ باب الرد على الثنوية والزنادقة س ١٥. (*)

(٢٨٨/٤)

ومنذرين ". و " حجة " اسم كان وخبره " للناس "، أو " على الله " والآخر حال (١)، ولا يجوز تعلقه بـ " حجة " لانه مصدر و " بعد " ظرف لها، أو صفة (٢). وفي نهج البلاغة قال (عليه السلام): فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه (٣) ليستأدوهم ميثاق فطرته (٤) ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول (٥) ويروهم آيات المقدرة، من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تحييهم، وآجال تفنيهم، وأوصاب تهرمهم (٦) وأحداث تتابع عليهم، ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة، أو محجة قائمة (٧) رسل لا تقصر بهم قلة عددهم، ولا كثرة المكرمين من سابق سمي له من بعده، أو غابر عرفه من قبله (٨) على ذلك نسلت

(٢٨٩/٤)

---

(١) أي ما لا يكون خبرا من قوله: (على الله، أو للناس) يكون حالا، فإن كان الخبر هو (على الله) يكون (للناس) حالا وان كان الخبر للناس يكون على الله حالا، ولا يجوز أن يتعلق (على الله) بـ (حجة) وإن كان المعنى عليه، لان معمول المصدر لا يتقدم عليه (حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي) في تفسيره لآية ١٦٥ من سورة النساء. (٢) أي إن لم يكن (بعد) ظرفا لها، أو صفة حائل تعلقه بها – منه (كذا في هامش النسخة). (٣) ارسلهم، وبين كل نبي ومن بعده فترة، لا بمعنى ارسلهم تباعا بعضهم يعقب بعضا. (٤) كان الله تعالى بما أودع في الانسان من الغرائز والقوى، وبما أقام له من الشواهد وأدلة الهدى، وقد أخذ عليهم ميثاقا بأن يصرف ما اوتي من ذلك فيما خلق له، وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه، لولا ما اعترضه من وساوس الشهوات، فبعث إليه النبيين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق، اي ليطالبوهم بما تقتضيه فطرتهم، وما ينبغي أن تسوقهم إليه غرائزهم. (٥) دفائن العقول: أنوار العرفان التي تكشف للانسان اسرار الكائنات، وترتفع به إلى الايقان بصانع الموجودات، وقد تحجب هذه الانوار غيوم من الاوهام وحجب من الخيال، فيأتي النبيون لا ثارة تلك المعارف الكامنة، وابراز تلك الاسرار الباطنة. (٦) السقف

المرفوع: السماء، والمهاد الموضوع، الارض والاوصاب: المتاعب. (٧) المحجة: الطريق القويمة الواضحة. (٨) من سابق: بيان للرسل، وكثير من الانبياء السابقين، سميت لهم الانبياء السابقين، سميت لهم الانبياء الذين بعدهم، فبشروا بهم كما ترى ذلك في التوراة وفي القرآن الكريم أن عيسى (عليه السلام) بشر بخاتم الرسل (صلى الله عليه وآله وسلم)، والغابر: الذي يأتي بعد أن يبشر به السابق جاء معروفا بتعريف من قبله. (*)

[لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملئكة يشهدون وكفى بالله شهيدا (١٦٦) إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا (١٦٧) إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا (١٦٨)] القرون (١) ومضت الدهور، ونسلت الاباء، وخلفت الابناء، إلى أن بعث الله محمدا (صلى الله عليه وآله) (٢). وكان الله عزيزا: لا يغلب فيما يريده. حكيما: فيما دبر من أمر النبوة، وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز. لكن الله يشهد بما أنزل إليك: استدراك عن مفهوم ما قبله، فكأنه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء، واحتج عليهم " إنا أوحينا إليك " قال: إنهم لا يشهدون ولكن الله يشهد، أو إنهم أنكروه ولكن الله يبينه ويقرره بما أنزل إليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك. نقل: أنه لما نزل " إنا أوحينا إليك " قالوا: ما نشهد لك، فنزلت. أنزله بعلمه: متلبسا بعلمه الخاص به، وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ بحال، أو من استعد للنبوة واستأهل نزول الكتاب عليه، أو بعلمه الذي يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم. والجار والمجرور على الاولين حال عن الفاعل، وعلى الثالث حال عن الفعول،

---

(١) نسلت، بالبناء للمجهول، ولدت، وبالبناء للفاعل، مضت متتابعة. (٢) نهج البلاغة ط بيروت: ص ٤٣ ومن خطبة له (عليه السلام) يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض وخلق آدم. (*)

[إلا طريق جهنم خلدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا (١٦٩) يأيها الناس قد جائكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن الله ما في السموت والارض وكان الله عليما حكيما (١٧٠)] والجملة كالتفسير لما قبلها. والملئكة يشهدون: أيضا بنبوتك. وكفى بالله شهيدا: وإن لم يشهد غيره، أو كفى بما أقام من الحجج على صحة نبوتك عن إشهاد بغيره. وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إنما انزلت " لكن الله يشهد بما أنزل إليك (في علي) أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا " (١). إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا: لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال، ولان المضل يكون اعرق في الظلال وأبعد من الانقلاع عنه. إن الذين كفروا وظلموا: جمعوا بينهما، والظلم أعم من الظلم عليه وعلى غيره إذا اجتمع مع الكفر. لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خلدين فيها أبدا: حال مقدرة. وكان ذلك على الله يسيرا: لا يصعب عليه. في تفسير علي بن إبراهيم: وقرأ أبو عبد الله (عليه السلام) " إن الذين كفروا

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٩ س ٣ في تفسيره لآية ١٦٦ من سورة النساء. (*)

وظلموا " (آل محمد حقهم) الآية (١). وفي اصول الكافي: أحمد بن مهران، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: نزل جبرئيل (عليه السلام) بهذه الآية هكذا " إن الذين كفروا – وظلموا آل محمد حقهم – لم يكن الله " الآية (٢). وفي تفسير العياشي مثله (٣). يأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم: قيل: لما قرر أمر النبوة وبين الطريق الموصل إلى العلم بها، وأوعد من أنكرها، خاطب الناس عامة بالدعوة وإلزام الحجة والوعد بالاجابة، والوعيد على الرد (٤). فامنوا خيرا لكم: أي إيمانا خيرا لكم، أو ائتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم عليه. وقيل: تقديره يكن الايمان خيرا لكم، ومنعه البصريون، لان (كان) لا يحذف مع اسمه إلا فيما لابد منه، ولانه يؤدي إلى حذف الشرط وجوابه (٥). وإن تكفروا فإن لله ما في السموت والارض: فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بإيمانكم، ونبه على غناه بقوله " ولله ما في السماوات والارض " وهو ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه. وكان الله عليما: بأحوالهم. حكيما: فيما دبر لهم. وفي اصول الكافي في تتمة الخبر الاول (٦). وفي تفسير العياشي: عن الباقر (عليه السلام) " قد جاء كم الرسول بالحق – في ولاية علي – فآمنوا خيرا لكم وأن تكفروا " –

بولاية علي – الآية (٧).

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٩ س ٦ في تفسيره لآية ١٦٩ من سورة النساء. (٢) الكافي: ج ١ ص ٤٢٤ كتاب الحجة باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح ٥٩ وفيه (إن الذين ظلموا – آل محمد حقهم – لم يكن الله الآية). (٣ و ٧) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٥ قطعة من ح ٣٠٧. (٤ و ٥) قال البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٧ في تفسيره لآية ١٧٠ من سورة النساء. (٦) الكافي: ج ١ ص ٤٢٤ كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ذيل ح ٥٩. (*)

[يأهل الكتب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقهآ إلى مريم وروح منه فئامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله وحد سبحنه أن يكون له ولد له ما في السموت وما في الارض وكفى بالله وكيلا (١٧١) لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملئكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا (١٧٢)] يأهل الكتب لا تغلوا في دينكم: قيل: الخطاب للفريقين، غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بأنه ولد لغير رشده، والنصارى في رفعه حتى اتخذوه إلها. وقيل: للنصارى خاصة، وهو أوفق بقوله (١). ولا تقولوا على الله إلا الحق: يعنى تنزيهه عن الشريك والصاحبة والولد. إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقهآ إلى مريم: أوصلها إليها وحصلها فيها. في مجمع البيان: وعيسى (عليه السلام) ممسوح البدن من الادناس والآثام كما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (٢). وفي تفسير علي بن إبراهيم: ثم قال: وصور ابن مريم في الرجل دون الصلب وإن

---

(١) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٧ في تفسيره لآية ١٧١ من سورة النساء. (٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٤٤ في بيان لغة (المسيح) في آية ١٧١ من سورة النساء. (*)

كان مخلوقا في أصلاب الانبياء (عليهم السلام) (١). وروح منه: ذو روح صدر عنه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة. وقيل: سمي روحا، لانه كان يحيى الاموات والقلوب (٢). وفي اصول الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحجال، عن ثعلبة، عن حمران قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله: " وروح منه " قال: هي روح مخلوقة خلقها الله في آدم وعيسى (٣). وفي كتاب التوحيد: بإسناده إلى أبي جعفر الاصم قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن الروح التي في آدم والتي في عيسى ما هما ؟ قال: روحان مخلوقان، اختارهما واصطفاهما روح آدم وروح عيسى (عليهما السلام) (٤). فئامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة: أي الآلهة ثلاثة، الله والمسيح وامه، ويشهد له قوله: " أءنت قلت للناس اتخذوني وامي إلهين من دون الله " (٥). أو " الله " ثلاثة، إن صح أنهم يقولون: الله ثلاثة أقانيم (٦)، الاب والابن وروح القدس: ويريدون بالاب الذات، وبالابن العلم، وبروح القدس الحياة. انتهوا: عن التثليث. خيرا لكم: اقصدوا خيرا لكم، وهو التوحيد. إنما الله إله وحد: أي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما. سبحنه أن يكون له ولد: سبحه تسبيحا من أن يكون له ولد، كيف والولد لابد أن يكون مماثلا للوالد، تعالى الله عن أن يكون له مماثل ومعادل. له ما في السموت وما في الارض: ملكا وخلقا، لا يماثله شئ من ذلك

---

(١) لم نعثر عليه في تفسير القمي ونقلناه عن تفسير نور الثقلين: ج ١ ص ٥٧٧ ح ٦٨٧. (٢) نقله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٨ في تفسيره لآية ١٧١ من سورة النساء. (٣) الكافي: ج ١ ص ١٣٣ كتاب التوحيد، باب الروح ٢. (٤) كتاب التوحيد: ص ١٧٢ باب ٢٧ معنى قوله (عز وجل): ونفخت فيه من روحي، ح ٤. (٥) المائدة: ١١٦. (٦) الاقانيم: الاصول واحدها اقنوم، قال الجوهري: واحسبها رومية (لسان العرب: ج ١٢ ص ٤٩٦). (*)

فيتخذه ولدا. وكفى بالله وكيلا: تنبيه على غناه عن الولد، فإن الحاجة إلى الولد ليكون وكيلا لابيه، والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه أو يعينه. لن يستنكف المسيح: لن يأنف، من نكفت الدمع، إذا نحيته باصبعك كيلا يرى أثره على وجهك. أن يكون عبد الله: من أن يكون عبد الله، فإن عبوديته شرف يتباهى به، وإنما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره. في مجمع

البيان: روي أن وقد نجران قالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا محمد لم تعيب صاحبنا ؟ قال: ومن صاحبكم ؟ قالوا: عيسى، قال: وأي شئ أقول فيه ؟ قالوا: إنه عبد الله ورسوله فنزلت الآية (١). ولا الملئكة المقربون: عطف على المسيح، أي ولن يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيد الله. في كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى سلمان الفارسي قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): يا علي تختم باليمين تكن من المقربين، قال: يا رسول الله وما المقربون ؟ قال: جبرائيل وميكائيل (٢). والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. وفي تفسير علي بن إبراهيم: عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حاكيا عن جبرئيل (عليه السلام): أن بين الله وبين خلقه تسعين ألف حجاب، وأقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل، وبيننا وبينه أربعة حجب، حجاب من نور، وحجاب

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٤٦ في شأن نزول آية ١٧٢ من سورة النساء. (٢) علل الشرائع: ج ١ ص ١٥٢ باب ١٢٧ علة تختم أمير المؤمنين (عليه السلام) في يمينه، ح ٣ وتمام الحديث (قال: بما اتختم يا رسول الله ؟ قال: بالعقيق الاحمر، فإنه أقر لله (عز وجل) بالوحدانية ولي بالنبوة ولك يا علي بالوصية ولولدك بالامامة ولمحبيك بالجنة ولشيعة ولدك بالفردوس). (*)

من ظلمه، وحجاب من الغمام، وحجاب من الماء (١). واحتج بالآية من زعم فضل الملائكة على الانبياء، وقال: مساقة لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية، وذلك يقتضي أن يكون المعطوف عليه أعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه. وجوابه أن الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة، فلا يتجه ذلك، وإن سلم اختصاصها بالنصارى فلعله أراد بالعطف المبالغة باعتبار آخر دون التكبير (٢)، كقولك: أصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس (٣). وفي كتاب علل الشرائع: بإسناده إلى ابن عباس، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حديث طويل، وفيه يقول (عليه السلام): لما عرج بي إلى السماء الرابعة أذن جبرئيل وأقام ميكائيل، ثم قيل: ادن يا محمد فقلت: أتقدم وأنت بحضرتي يا جبرئيل ؟ قال: نعم، إن الله (عز وجل) فضل أنبياء المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلك أنت خاصة، فدنوت وصليت بأهل السماء الرابعة (٤). وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي (رحمه الله): عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حديث طويل، وفيه قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن علي هو أفضل أم ملائكة الله المقربون ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): وهل شرفت الملائكة إلا بحبها لمحمد وعلي وقبولها لولايتهما، أنه لا

أحد من محبي علي (عليه السلام) قد نظف

(٢٩٧/٤)

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ٢ ص ١٠ س ٢ في تفسيره لآية ١ من سورد بني إسرائيل. (٢) قوله: (باعتبار التكثير دون التكبير) الاول بالثاء المثلثة، والثاني بالباء الموحدة، يعني أن المبالغة تحصل في المعطوف باعتبار الكثرة دون الكبر والعظمة، يعني: لن يستنكف المسيح وهو شخص واحد ولا الاشخاص الكثيرة التي هم الملائكة المقربون (من حاشية الكازروني على تفسير البيضاوي). (٣) الاحتجاج والجواب من البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٨ في تفسيره لآية ١٧٢ من سورة النساء. (٤) علل الشرائع: ج ١ ص ٦، باب ٧ العلة التي من أجلها صارت الانبياء والرسل والحجج (صلوات الله عليهم) أفضل من الملائكة س ٨ والحديث منقول عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولفظه: (وأنه لما عرج لي إلى السماء أذن جبرئيل مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى ثم قال إلخ). (*)

(٢٩٨/٤)

قلبه من قذر (الغش والدغل ونجاسات الذنوب) (١) إلا كان أطهر وأفضل من الملائكة (٢). وفي كتاب كمال الدين وتمام العمة: بإسناده إلى المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لما اسري بي إلى السماء أوحى إلي ربي (رجل جلاله)، فقال: يا محمد إني اطلعت على الارض اطلاعة فاخترتك منها فجعلتك نبيا، وشققت لك من اسمي اسما، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت الثانية فاخترت منها عليا وجعلته وصيك وخليفتك وزوج ابنتك وأبا ذريتك، وشققت له اسما من اسمائي، فأنا العلي الاعلى وهو علي، وخلقت فاطمة والحسن والحسين من نوري ثم عرضت ولا يتهم على الملائكة، فمن قلبها كان عندي من المقربين، (٣) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. وفي أمالي الصدوق (رحمه الله): بإسناده إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حديث طويل يذكر فيه فاطمة (عليها السلام)، وفيه: فإنها تقوم في محرابها فيسلم عليها

سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين وينادونها بمانادت به الملائكة مريم (٤). ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر: يترفع عنها، والاستكبار دون الاستنكاف، وإنما يستعمل حيث لا استحقاق، بخلاف التكبر فإنه قد يكون باستحقاق، كما هو في الله سبحانه. فسيحشرهم إليه جميعا: المستنكف والمستكبر، والمقر بالعبودية، فيجازيهم على حسب أحوالهم.

---

(١) في النسخة أ: النشر والذعل والفعل ونجاسته الدنيوية. (٢) الاحتجاج: ج ١ ص ٦٢ ذكر ما جرى لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الاحتجاج على المنافقين في طريق تبوك وغير ذلك من كيدهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على العقبة بالليل س ٢. (٣) كمال الدين وتمام النعمة: ج ١ ص ٢٥٢، باب ٢٣ نص الله (تبارك وتعالى) على القائم (عليه السلام) وانه الثاني عشر من الائمة (عليهم السلام) قطعة من ح ٢. (٤) أمالي الصدوق (رحمه الله): ص ٣٩٤، المجلس الثالث والسبعون قطعة من ح ١٨. (*)

---

[٦٩٨]

[فأما الذين ءامنوا وعملوا الصلحت فيوفيهم أجورهم ويزيدهم – من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (١٧٣) يأيها الناس قد جاءكم برهن من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا (١٧٤) فأما الذين ءامنوا بالله واعتصموا به فسيد خلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صرطا مستقيما (١٧٥)] فأما الذين ءامنوا وعملوا الصلحت فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا: تفصيل للمجازاة المدلول عليها من فحوى الكلام، وكأنه قال: فسيحشرهم إليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة، أو لمجازاة المستنكف والمستكبر، فإن إثابة مقابليهم، والاحسان إليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة. يأيها الناس قد جاءكم برهن من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا: قيل: المراد بالبرهان المعجزات، وبالنور القرآن، أي جاء كم دلائل العقل، وشواهد النقل، ولم يبق لكم عذر ولا علة (١). وقيل: البرهان رسول الله، والنور القرآن (٢). وفي مجمع البيان: عن أبي عبد الله (عليه السلام)، النور ولاية علي (عليه السلام) (٣).

---

(١) قاله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٩ في تفسيره لآية ١٧٤ من سورة النساء. (٢) الدر المنثور: ج ٢ ص ٢٤٩ في تفسيره لآية ١٧٤ من سورة النساء نقلا عن سفيان الثوري. (٣) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٤٧ في تفسيره لآية ١٧٤. (*)

---

[٦٩٩]

[يستفتونك قل الله يفتيكم في الكللة إن امرؤا هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شئ عليم (١٧٦)] فأما الذين ءامنوا بالله واعتصموا به فسيد خلهم في رحمة منه: ثواب مستحق. وفضل: وإحسان زائد عليه. ويهديهم إليه: إلى الله، أو الموعود من الرحمة والفضل. صرطا مستقيما: قد مر تحقيق معنى الصراط في سورة الفاتحة. وفي تفسير العياشي: عن عبد الله بن سليمان قال: قلت لابي عبد الله (عليه السلام) قوله: " فد جاء كم برهان " الآية قال: البرهان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، والنور علي (عليه السلام) قال: قلت له " صراطا مستقيما " قال: الصراط المستقيم علي (عليه السلام) (١). وفي تفسير علي بن إبراهيم: النور إمامة أمير المؤمنين، والاعتصام التمسك بولايته، وولاية الائمة بعده (٢). يستفتونك: اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه. نقل أن جابر بن عبد الله كان مريضا، فعاوده رسول الله (صلى الله عليه وآله

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٥ ح ٣٠٨. (٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٩ س ١٢ في تفسيره لآية ١٧٥ من سورة النساء. (*)

---

[٧٠٠]

وسلم) فقال: يا رسول الله إن لي كلالة، فكيف أصنع في مالي ؟، فنزلت (١). وروي في مجمع البيان ما يقرب من ذلك (٢). قل الله يفتيكم في الكللة: معنى تفسيرها في أوائل السورة. في الكافي: عدة من اصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعا، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر،

عن جميل بن دراج، عن زرارة قال: إذا ترك الرجل امه أو أباه أو ابنه أو ابنته فإذا ترك واحدا من الاربعة فليس بالذي عنى الله في كتابه: " قل الله يفتيكم في الكلاله " (٣). عدة من اصحابنا، عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد وعلي ابن إبراهيم، عن أبيه جميعا، عن ابن محبوب، عن أبي أيوب وعبد الله بن بكير، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إذا ترك الرجل أباه أو امه أو ابنه أو ابنته، إذا ترك واحدا من هؤلاء الا ربعة فليس هم الذين عنى الله " قل الله يفتيكم في الكلالة " (٤). (وفي الكافي علي بن إبراهيم..) (٥). إن امرؤا هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك: ارتفع " امرؤ " بفعل يفسره الظاهر، و " ليس له ولد " صفة له، أو حال من المستكن في " هلك " والواو في " وله " يحتمل الحال والعطف. أي اخت لاب وام، أو اخت لاب، كذا عن الصادق (عليه السلام) (٦). فللاخت نصف ما ترك الميت بالفرض، والباقي يرد عليها أيضا. وهو يرثها: أي المرء يرث اخته جميع مالها، إن كانت الاخت هي الميتة.

(٣٠٢/٤)

---

(١) نقله البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٩ في تفسيره لآية ١٧٦ من سورة النساء. (٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٤٩ في سبب نزول آية ١٧٦ من سورة النساء. (٣) الكافي ج ٦٧ ص ٨٣ كتاب المواريث ذيل ح ١. (٤) الكافي: ج ٧ ص ٩٩ كتاب المواريث ح ١. (٥) كذا في النسخة – أ، والظاهر – والله أعلم – إما ان هذا الكلام زائد من سهو الناسخ، أو أن هناك حديث أورد بعض سنده وسهى عن إكماله. (٦) الكافي: ج ٧ ص ١٠١ كتاب المواريث باب ميراث الاخوة والاخوات مع الولد ضمن ح ٣. (*)

(٣٠٣/٤)

إن لم يكن لها ولد: ولا والد، لان الكلام في ميراث الكلالة، ولان السنة دلت على أن الاخوة لا يرثون مع الاب كما تواتر عن أهل البيت (عليهم السلام) (١). فإن كانتا اثنتين: الضمير لمن يرث بالاخوة، وتثنيته محمولة على المعنى، وفائدة الاخبار باثنتين، والتنبيه على أن الحكم باعتبار العدد، دون الصغر والكبر وغير هما. فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ

الانثيين: فيه تغليب، واصله: إن كانوا إخوة وأخوات، فغلب الذكر. وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن اذينة، عن بكير، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إذا مات الرجل وله اخت، تأخذ نصف الميراث بالآية كما تأخذ البنت لو كانت، والنصف الآخر يرد عليها بالرحم، إذا لم يكن للميت وارث أقرب منها، فإن كان موضع الاخت أخ، أخذ الميراث كله بالآية، لقول الله " وهو يرثها إن لم يكن لها ولد " فإن كانتا اختين أخذتا الثلثين بالآية، والثلث الباقي بالرحم " وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين " وذلك كله إذا لم يكن للميت ولد، أو أبوان أو زوجة (٢). وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير ومحمد بن عيسى، عن يونس، عن عمر بن اذينة، عن بكير قال: جاء رجل إلى أبي جعفر (عليه السلام) فسأله عن امرأة تركت زوجها وإخوتها لامها واختها لابيها ؟ فقال: للزوج النصف ثلاثة أسهم، وللاخوة من الام الثلث سهمان، وللاخت من الاب السدس سهم، فقال له الرجل: فإن فرائض زيد وفرائض العامة والقضاء على غير ذلك يا أبا جعفر يقولون: للاخت من الاب ثلاثة أسهم تصير من ستة، وتعول إلى ثمانية، فقال أبو جعفر (عليه السلام): فلم قالوا ذلك ؟ قال: لان الله (عز وجل) يقول: " وله أخت فلها نصف ما ترك " فقال أبو جعفر: فإن كانت الاخت أخا ؟ قال: فليس له إلا السدس، فقال له أبو جعفر (عليه السلام): فما لكم نقصتم الاخ إن كنتم تحتجون

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٤٣٤ كتاب الفرائض والمواريث، الباب ١ من ابواب ميراث الابوين والاولاد، فلا حظ. (٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١ ص ١٥٩ س ١٨ في تفسيره لآية ١٧٦ من سورة النساء. (*)

للاخت النصف بأن الله سمى لها النصف، فإن الله قد سم للاخ الكل، والكل أكثر من النصف، لانه قال (عز وجل): " فلها النصف " وقال للاخ " وهو يرثها " يعني جميع مالها " إن لم يكن لها ولد ". فلا تعطون الذي جعل الذي الله له الجميع في بعض فرائضكم شيئا، وتعطون الذي جعل الله له النصف تاما ؟ فقال له الرجل: أصلحك الله فكيف تعطى الاخت النصف ولا يعطى الذكر لو كانت هي ذكرا شيئا ؟ فقال: تقولون في ام وزوج وإخوة لام واخت لاب، يعطون الزوج النصف، والام السدس، والاخوة من الاخت من الاب النصف ثلاثة، فيجعلونها من تسعة، وهي من ستة فترتفع إلى تسعة قال: وكذلك تقولون: قال: فإن كانت الاخت ذكرا أخا لاب، قال: ليس له شئ، فقال الرجل

لابي جعفر (عليه السلام) فما تقول أنت جعلت فداك ؟ فقال: ليس للاخوة من الاب والام، ولا الاخوة من الام، ولا الاخوة من الاب مع (الام) (١) شئ. قال عمر بن اذينة: وسمعته من محمد بن مسلم يرويه مثل ما ذكر من بكير، المعنى سواء لست أحفظه بحروفه وتفصيله إلا معناه، قال: فذكرت ذلك لزرارة، فقال صدقا هو والله الحق (٢). محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن بكير، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سأله رجل عن اختين وزوج ؟ فقال: النصف والنصف فقال الرجل: النصف والنصف، أليس الله قد سمى المال فقال: " وهو يرثها إن لم يكن لها ولد " (٣). محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي، عن (عبد الله) (٤) بن المغيرة، عن موسى بن بكر قال: قلت لزرارة: إن بكيرا حدثني عن أبي جعفر (عليه السلام): إن الاخوة للاب والاخوات للاب والام يزادون وينقصون، لانهن لا يكن

---

(١) في النسخة – أ –: الاب (٢) الكافي: ج ٧ ص ١٠٢ كتاب المواريث باب ميراث الاخوة والاخوات مع الولد ح ٤. (٣) الكافي: ج ٧ ص ١٠٣ كتاب المواريث، باب ميراث الاخوة والاخوات مع الولد ص ١٠٣ ح ٦. (٤) في النسخة – أ –: (عبيد الله). (*)

أكثر نصيبا من الاخوة والاخوات للاب والام لو كانوا مكانهن، لان الله (عز وجل) يقول: " إن امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد " يقول: يرثه جميع ما لها إن لم يكن لها ولد، فأعطوا من سمى الله له النصف كملا، وعمدوا فأعطوا الذي سمى الله له المال كله أقل من النصف، والمرأة لا تكون أبدا أكثر نصيبا من الرجل لو كان مكانها، قال: فقال زرارة: وهذا قائم عند أصحانا لا يختلفون فيه (١). علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن عيسى، عن يونس جميعا، عن عمر بن اذينة، عن بكير بن أعين، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، وذكر حديثا طويلا يقول (عليه السلام) في آخرة: وفي آخر سورة النساء " يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت " يعني اختا لام وأب أو اختا لاب " فلها نصف ما ترك. وهو يرثها إن لم يكن لها ولد، وإن كانوا اخوة النصف كملا، وعمدوا فأعطوا الذي سمى الله له المال كله أقل من النصف، والمرأة لا تكون أبدا أكثر نصيبا من الرجل لو كان مكانها، قال: فقال زرارة: وهذا قائم عند أصحانا لا يختلفون فيه (١). علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن عيسى، عن يونس جميعا، عن عمر بن اذينة، عن بكير بن أعين، عن

أبي عبد الله (عليه السلام)، وذكر حديثا طويلا يقول (عليه السلام) في آخرة: وفي آخر سورة النساء " يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت " يعني اختا لام وأب أو اختا لاب " فلها نصف ما ترك. وهو يرثها إن لم يكن لها ولد، وإن كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين " فهم الذين

يزادون (وينقصون) (٢) (٣). يبين الله لكم أن تضلوا: أي يبين لكم ضلالكم الذي من شأنكم إذا خليتم وطبائعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه، أو يبين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلوا. وقال الكوفيون: لئلا تضلوا، فحذف " لا " (٤). والله بكل شئ عليم: فهو عالم بمصالح العباد في المحيى والممات. قيل: هي آخر آية نزلت في الاحكام (٥).

---

(١) الكافي: ج ٧ ص ١٠٤ كتاب المواريث، باب ميراث الاخوة والاخوات مع الولد ح ٧. (٢) في النسخة أ: وينفقون. (٣) الكافي: ج ٧ ص ١٠١ كتاب المواريث، باب ميراث الاخوة والاخوات مع الولد قطعة من ح ٣. (٤) تقديره، كراهة أن تضلوا، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وهو مفعول له، وقيل: تقديره، لئلا تضلوا فحذف (اللام ولا) من الكلام، لان فيما أبقى دليلا على ما ألقى والوجه الاول أوجه الوجهين (البيان لابن الانباري: ص ٢٨١). (٥) قال البيضاوي: ج ١ ص ٢٥٩ في تفسيره لآية ١٧٦ من سورة النساء. (*)

مكتبة يعسوب الدين عليه السلام الإلكترونية
Powered by: Atabat.info